

روايات مصرية الجيب

158

رجل المستحيل

و. نبيل فاروق



# الخطّة



Looloo

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)





## 1- صفقة ..

ارتفع هدير مروحة الهليكوبتر الصغيرة، وهي تنطلق على ارتفاع منخفض، فوق مياه المحيط الأطلنطي، متجاوزة الساحل الأمريكى، ومتجهة عبر المحيط نحو الشرق، وفي اتجاه جزيرة صغيرة، بدت هائلة ساكنة، وكأنما تخلو من السكان تمامًا، إلا أن الهليكوبتر لم تكد تقترب منها، حتى تحرك جزء من سطح الجزيرة الرملى، بما يحويه من نخيل استوائى، وارتفع على نحو عجيب، كاشفاً ممراً ضخماً عميقاً، عبرته الهليكوبتر دون أن تغير اتجاهها، ولم تكد تختفى داخله، حتى عاد سطح الجزيرة إلى موضعه الأول، فلم يبد عليه أدنى أثر لما حدث، وعادت أمواج المحيط تنكسر عليه فى هدوء ..

وهناك فى أعماق تلك الجزيرة، عبرت الهليكوبتر ذلك العمر الضخم القصير، إلى ساحة هائلة، مضاءة على نحو جيد، ويحتشد فيها عدد من الجنود المدججين بأحدث أنواع الأسلحة، وبدأ من اللواضح أنهم فى انتظار الهليكوبتر، وإن اتخذوا احتياطاتهم، وأحاطوها مصوبين إليها أسلحتهم فى تحفز، استعداداً لاستقبال ركبها، وتأهباً لأية مفاجأة محتملة، ولكن راكب الهليكوبتر الوحيد هبط منها مبرزاً بطاقة هويته الخاصة، وهو يقول :

- كولونيل (سميث لورين) .



## رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن - 1) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه، هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و (المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغوصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة .. لقب «رجل المستحيل» .

و. نبيل فاروق



ظل الجنود يصوبون إليه أسلحتهم بنفس التحقُّز ، في حين اتجه نحوه شخص يبدو أرفع منزلة ، وأعلى رتبة ، وهو يحمل جهازًا شبيهاً بجهاز (ريد آي) ، مرَّره أمام وجهه بضع لحظات ، ثم فحص قزحية عينه بجهاز آخر ، قبل أن يعتدل في وقفة عسكرية صارمة ، هاتفاً :

- انتباه .

وهنا فقط ، خفض الجنود أسلحتهم ، واتخذوا وقفة عسكرية تشف عن الاحترام ، في حين أذى أعلاهم رتبة التحية العسكرية ، قائلاً بصوت قوى :

- الملازم (جون لارك) في خدمتك يا كولونيل .

عقد (سميث) كفيه خلف ظهره ، وهو يسأله في صرامة :

- كيف حالها ؟

بدت الحيرة في عيني الملازم (لارك) لحظة ، ثم أطلت واضحة مع تردده ، وهو يقول :

- تبدو لي في أفضل حال .

لم يبد الجواب مناسباً أو كافياً ، بالنسبة للكولونيل ، الذي مال نحوه متسائلاً ، وفوجئ به يضيف في عصبية :

- تتعامل طوال الوقت وكأنها زعيمة المكان ، وليست مجرد سجينه فيه .

اعتدل (سميث) ، وأطلق زفرة شاركت الملازم (لارك) عصبية ، قبل أن يقول :

- هذه شيمتها .

ثم استعاد صرامته ، وهو يشير إليه ، قائلاً :

- أتمنى إليها .

أدى (لارك) التحية العسكرية مرة أخرى ، وسار أمام (سميث) ، عبر ممر طويل مضاء ، اصطف فيه الجنود المسلحون على الجانبين ، حتى بلغا باباً معنياً سميكا ، استخدم (لارك) بطاقة رقمية خاصة ، مرَّرها عبر تجويف خاص ، وأضاف إليها رقماً سرياً ، مع بصمة عينه ، قبل أن ينفتح الباب بحركة آلية في ببطء ، كاشفاً ما بدا أشبه بحجرة فاخرة ، من حجرات فنادق الدرجة الأولى ، استلقت فيها حسناء باهرة الحسن ، على فراش وثير ، ولم تكد تشعر بدخولهما ، حتى اعتكلت في ببطء ، والتقطت سيجارة رفيعة طويلة ، من عتبة أنيقة ، مجاورة لفراشها ، وأشعتها بقذاحة ذهبية ، تحمل الحرف الأول من اسمها ، وهي تقول في هدوء وثق ، يحمل لمحة من السخرية :



- كولونيل (سميث) .. ترى لماذا لا يدهشنى حضورك .. أخبرنى :  
هل حانت اللحظة ؟!

عقد حاجبيه فى غضب صارم ، وهو يسألها :

- ليه لحظة يا (سونيا) ؟!

نفثت (سونيا جراهام) دخان سيجارتها فى بطنه ، وترافقت  
لمحة ساخرة فى عينيها ، وهى تجيب :

- لحظة احتياجكم إلى خدماتى .

ازداد انعقاد حاجبيه (سميث) ، وهو يقول ، فى حدة :

- ومن أدراك أننا قد نحتاج إلى خدماتك ؟!

أطلقت (سونيا) ضحكة عالية عابثة ، واعتذلت جالسة على  
طرف فراشها ، وهى تقول فى استهتار :

- ألقِتم القبض علىّ ، بعد محاولتى السيطرة على العالم ، وبدلاً  
من إعدامى بلا رحمة ، وضعتونى هنا .

قال فى صرامة :

- إنه أكثر سجوننا عزلة ومناعة ، و ...

قاطعه بنفس اللهجة :

- وفخامة .

تطلع إليها فى عصبية دون تعليق ، فنهضت بحركة رشيقة ،  
وهى تتابع فى أناقة :

- لقد فركت ، منذ اللحظة الأولى ، أنكم لا تتوون التخلّص منى ،  
بأى حال من الأحوال ، ولقد اخترت صحة استنتاجى ، عندما طلبت  
قداحتى الذهبية ، وسجائرى الخاصة ، فتمت الاستجابة لمطلبى  
على الفور ، على الرغم من السجن الخاص ، والحراسة المشددة  
حولى ، مما جعلنى أفهم السبب الحقيقى لكل ما تحيطوننى به .

بدا صوته خشناً جافاً ، وهو يسألها :

- أى سبب حقيقى ؟!

مالت نحوه بشدة ، حتى كادت رائحة عطرها تمكره ، وأجابت  
بصوت كالفرح :

- حملتى .

تراجع بحركة حادة ، فنفثت دخان سيجارتها فى وجهه ، قبل  
أن تتابع :

- لقد أدركتم مدى عبقرىتى وخطورتى ، وخشيتم أن يسعى  
غيركم للاستفادة منى ؛ فبسعى بالتالى لتحريرى ، وخشيتم فى الوقت  
ذاته أن لقى مصرعى ، فتضيع معى كل خبرتى ومهارتى ومعارفى .



وصمت لحظة ، تطلعت خلالها إليه في تلذذ ، جعلها تضيق  
في استمتاع عجيب :

- أنا على حق ؟!

ظل ( سميث ) يتطلع إليها لحظات ، في صرامة شديدة ، لم تنجح  
في إخفاء عصبية ، عندما قال في غلظة :

- لقد أحكمنا الحصار حول ( آدم صبرى ) .

تألفت عينا ( سونيا ) في شدة ، وتحركت شفتاها على نحو  
خاص ، حمل كل ما يعمل في أعماقها من صراع وذكريات ،  
حول علاقتها الطويلة بـ ( لاهم ) ..

لقاؤها به (\*) ..

وصراعها الطويل معه ..

وزواجها منه (\*\*) ..

وإنجابها لطفله الوحيد ( آدم ) (\*\*\*) ..

و ...

« خطأ .. »

(\*) راجع قصة ( أبواب الجحيم ) ... المغامرة رقم (19) .

(\*\*) راجع قصة ( الرجل الآخر ) ... المغامرة رقم (81) .

(\*\*\*) راجع قصة ( جزيرة الجحيم ) ... المغامرة رقم (84) .

قالتها في هدوء ساخر ، قطع تسلسل أفكارها ، فحدجها ( سميث )  
بنظرة صارمة ، قائلا :

- أي خطأ ؟!

سحبت نفساً طويلاً من سيجارتها الرقيقة ، قبل أن تقول :

- لو أنكم أحكمتم الحصار حوله بالفعل ، لما أتيتم تشدون  
مساعدتي ..

ومالت تنفث دخان سيجارتها في وجهه ، مضيفة :

- ليس كذلك ؟!

صمت ( سميث ) طويلاً هذه المرة ، وبدأ من ملامحه أنه شديد  
التوتر في صمته ، قبل أن يقول في عصبية واضحة :

- إتينا نعرض عليك عفواً شاملاً .

رفعت أحد حاجبيها وخفضته ، قائلة :

- إذن فقد كنت على حق .

بدأ أكثر عصبية ، وهو يقول :

- هذا ليس جواباً .

تطلعت من حلقها زمجرة ، تعارضت تماماً مع ملامحها الجميلة ،  
وهي تقول في صرامة شرسة :

- أريد التفاصيل .

قال في صرامة :

- الجواب أولاً .

هتفت :

- لا جواب بدون تفاصيل .

اتعقد حاجباه بشدة ، وهو يدرس الموقف كله ؛ لتحديد ما إذا كان سيجيب أم لا ، ولكن قبل أن يحسم أمر نفسه ، تطلق رنين جهاز خاص معه ؛ فالتقطه في حركة سريعة ، تشف عن خطورة الاتصال ، وقال :

- الكولونيل (سميث) .

ألقت (سونيا) سيجارتها بعيداً ، وهي تتفرس ملامحه ، محاولة أن تستشف طبيعة الحديث ، أو فحواه ، وألقها أن تألقت عيناه ، قبل أن يقول :

- عظيم .. عظيم .

ثم أنهى الاتصال ، وأعاد الجهاز إلى جيبه بحركة سريعة ، فقالت (سونيا) في حذر :

- بشأن العفو .

قاطعها في صرامة حادة :

- لا عفو .

اتعقد حاجباه في عصبية ، فتابع بنفس الصرامة ، التي أضيفت إليها رنة شامتة :

- إننا نسحب عرضنا .

زداد تعقّد حاجبها وزدادت عصبيتها ، في حين استطرد هو :

- لقد انتهى أمر (أدهم صبرى) هذا .. تماماً .

وفي هذه المرة ، قفزت عصبية (سونيا) إلى ذروتها ..  
أو أعلى ..

\*\*\*

اتعقد حاجبا الجنرال (ماليكوف) في شدة غاضبة ، وهو يراجع تلك البرقية العاجلة ، التي وصلته من الولايات المتحدة الأمريكية ، قبل أن يقول للماجور (بولاسكى) في حدة :

- إذن فتلك الحقيبة قررت أن تلعب وحدها ، بعد أن شرفناها بالانضمام إلى تحالف أربعة أجهزة مخابرات عملاقة .

قال (بولاسكى) في انفعال :

- رجالها حاصروا (أدهم صبرى) بالفعل ، في منزل صغير في (تشارلوزفيل) بولاية (فيرجينيا) ، وهم يفتحون المكان بالفعل ، أثناء حديثنا ، وبأعداد هائلة .



تراجع ( ماليكوف ) في مقعده ، قائلاً في صرامة :

- ولماذا يبهجك هذا أيها الرفيق الماجور !!

على الرغم من أن هذا المصطلح لم يستخدم في روسيا ، منذ بدايات تسعينات القرن العشرين ، إلا أن ( بولانسكى ) اعتدل بحركة عسكرية قوية فور سماعه ؛ وأجاب في سرعة جندي ملتزم :

- المفترض أن يقضوا عليه هناك ؛ وهذا ينهى اللعبة كلها .

هتف ( ماليكوف ) في غضب مستكراً :

- لعبة ١٩

ارتبك ( بولانسكى ) ، وهو يقول :

- العملية أيها الرفيق الجنرال .. العملية .

رمقه ( ماليكوف ) بنظرة نارية ملتهبة ، قبل أن يقول :

- فلنكف عن استخدام مصطلح الرفيق هذا ؛ حتى لا تعتاده  
للسنتا ، فلو سمعنا أحد التقنيين نطقها ، فستكون العواقب وخيمة .

تمتم ( بولانسكى ) :

- للأسف .

كررها ( ماليكوف ) في حدة :

- نعم .. للأسف .

ثم عاد يرمقه بتلك النظرة النارية ، مستطرداً :

- هل قرأت ملف هذا المصري جيداً ؟

أجابه ( بولانسكى ) في حذر :

- بالتأكيد .

سأله في صرامة :

- كم مرة حاصروه ، وتصوَّروا أنهم قد ظفروا به ؟

راجع ( بولانسكى ) الملف في ذهنه بسرعة ، قبل أن يقول  
بنفس الحذر :

- مرات عديدة .

سأله في صرامة أكثر :

- وإلى ماذا انتهى الأمر ؟

صمت ( بولانسكى ) لحظات ، قبل أن يجيب في تردد :

- اقتصر .

ضرب ( ماليكوف ) سطح مكتبه برأسته ، وهو يهتف في حدة :

- ماذا سيتغير هذه المرة ؟

لم يجد ( بولانسكى ) جواباً ، وبدا حائراً متوتراً ، فأجاب  
( ماليكوف ) ، وهو ينهض من خلف مكتبه في حركة حادة :



- الشيء الوحيد ، الذي كان من الممكن أن يتغير ، ويضع ذلك المصري في موقف لا فكاك منه ، ويغلق في وجهه كل منفذ ، ويلغى وينسف كل أمل ، هو أن تتحد جهود أجهزة مخابراتنا في يد واحدة ، ووفقاً لبرنامج ( فرنيوالتي ) المتقن ، الذي يمكنه توقع كل خطوة لرجل المخابرات المصري ، ويجعلنا نسبقه دوماً بخطوة .

توقف لحظة ؛ ليضغط على أسنانه بكل قوته في غرظ ، قبل أن يضيف في سخط ثلثاً :

- ولكن تلك اللعينة أفسدت كل شيء .. أفسدته برغبتها الكثيرة الحمقاء في أن تستأثر بالانتصار كله لنفسها ، أو ...

صمت لحظات ، انعقد خلالها حاجباه الكثبان في شدة ، قبل أن يضيف في بطم ، يحمل كل مقت الدنيا :

- أو أن تمنحه فرصة للخلاص .

انتفض ( بولانسكى ) من فرط دهشته ، وهو يهتف مستكراً :

- الخلاص !؟

أجابه ( ماليكوف ) ، وكأنه يجيب نفسه :

- نعم الخلاص من حصار أربعة أجهزة مخابرات .. الخلاص

لأنها ... تحبه ...

نطق الكلمة الأخيرة بعد فترة صمت قصيرة ، وبلهجة تختلف عن كل ما سبقها ، فتطلع إليه ( بولانسكى ) في دهشة ، دون أن ينبس ، أو يجرو أن ينبس ببنت شفة ، خاصة وأن ( ماليكوف ) قد غرق في صمت بعدها ، وهو شارد تماماً ، قبل أن يقول في بطم :

- نعم .. تحبه .. هذه نقطة ضعف النساء الشهيرة .

ترنّد ( بولانسكى ) لحظات أخرى ، قبل أن يحسم أمر نفسه ، ويضغم :

- ولكن رجالها ربما ظفروا به الآن .

ضغم ( ماليكوف ) ، وكأنما يواصل تفكيره :

- ربما .

ثم التفت إليه بحركة حادة ، مضيقاً :

- وربما لا ..

وانعقد حاجبا ( بولانسكى ) في شدة ، والاحتعالان بهردان في ذهنه في عنف .. ترى ماذا حدث هناك ، في ( تشارلوزفيل ) ( فيرجينيا ) ؟ ..

ماذا (\*) ؟ ..

\*\*\*

(\*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول ( المترجم ) .. المغامرة رقم (157) .



اقتحم (ماريو) ورجاله ذلك المنزل الآمن ، فى (تشارلوزفيل) ،  
بمنتهى العنف والشراسة ، وما إن حطموا بابيه ، حتى انطلقت  
أسلحتهم تفرغ كل رصاصاتها فيه دون تمييز ..

حطموا ونسفوا كل شيء تقريباً ..

الأثاثات ..

الأجهزة ..

الأبواب ..

النوافذ ..

وحتى الجدران ..

كانوا يطلقون رصاصاتهم بهدف واحد ، أكد عليه (ماريو) فى  
أوامره بشدة ..

لا ينبغى أن تغت بعبوسة حية ، من ذلك المنزل ..

ولقد دوت رصاصاتهم ، حتى أثارت رعب كل مخلوق فى تلك  
المدينة الصغيرة ، التى لم تشهد فى حياتها كلها سوى حادثة  
سطو واحدة لم تكتمل ..

وفى انزعاج شديد ، هرع الكل إلى رجال الشرطة ، الذين  
يفتقرون إلى الخبرة اللازمة ، فى معالجة مثل هذه الأمور ،  
والذين هرعوا بدورهم إلى مأمور المدينة ، الذى بدأ شديد  
العصبية ، وهو يهتف بهم :

- وماذا تنتظرون .. خذوا كل أسلحتكم ، وانطلقوا إلى  
هناك .

تردد رجال الشرطة فى قلق حذر ، فصرخ فيهم :

- هيا .

أسرعوا جميعاً إلى مخزن الأسلحة ، وحملوا أسلحتهم ، وهم  
يرتدون ستراتهم الواقية من الرصاص فى خوف ، شأن جنود  
يدخلون معركة حقيقية ، لأول مرة فى حياتهم ..

وفى قلق حقيقى ، سأل أحدهم المأمور :

- أين تلتى أيها الرئيس !؟

صاح فيه المأمور فى حدة :

- بالطبع .. اذهبوا واستجدوننى خلفكم .



اتطلق رجال الشرطة ، وهم يقدمون قدمًا ويؤخرون أخرى ،  
ولم يكد آخرهم يغادر قسم الشرطة ، حتى يلف المأمور إلى  
حجرته ، وأغلق بابها خلفه في إحكام ، ثم التقط هاتفه المحمول ،  
وهو يقول في عصبية :

- لم يكن هذا اتفاقًا .. لم يكن اتفاقًا أبدًا .

في نفس اللحظة التي نطق فيها عبارته ، كانت دونا  
(كارولين) ترتدى ثوبًا أبيضًا ، وتنهك في وضع لمسات رقيقة  
من زينتها وعطرها الهادئ ، عندما ارتفع رنين هاتفها الخاص ،  
الذي لا يعرف رقمه إلا عدد محدود للغاية ، ففتحت حاجبها الجسولين  
في حلق ، وهي تقول :

- أي وقت سخيف هذا ؟!

ألقت نظرة سريعة على شاشة هاتفها ؛ مما أورها مزيدًا الحلق ،  
جعلها تجيب في خشونة تتعارض تمامًا مع ملامحها :

- ماذا تريد أيها المأمور ؟!

أجابها مأمور (تشارلوزفيل) في عصبية :

- رجالك يسببون ضجيجًا كبيرًا هنا يا دونا .

قالت في حدة :

- وأنت تقاضيت ثمن هذا .

هتف :

- الثمن لم يكن يشمل كل هذه الفوضى .

صاحت به في غضب :

- الثمن كان يشمل كل شيء ، فهو يزيد عن ضعف راتبك

السنوي .. ألا تذكر ؟!

بدا شديد التوتر والعصبية ، وصوته ينخفض في مذلة ، قائلاً :

- ولكن رجالك يضعونني في موقف سخيف ، وشديد الصعوبة

بحق .. الكل هنا يطالبني بالتدخل ، وأنا مضطر لهذا ..

قالت في حدة :

- افعل ما تشاء .

سألها في خوف :

- حتى لو تسبب هذا في مصرع بعض رجالك .

أجابته في سخرية :



- لست أخشى على رجالي .. إنهم يعرفون كيف يديرون أمورهم ..  
أما بالنسبة لرجالك ، فالأفضل أن تبدأ في صياغة طلب معين  
بدلاء لهم من الآن .

قال في عصبية :

- دونا .. لا تريد مذبح هنا .

أجابته في استهتار :

- أبعد رجالك عن ساحة المعركة إذن .

همهم بكلمات غاضبة غير مفهومة ، لكنها قطعت هممته في  
صرامة :

- المهم .. ماذا فعل رجالي ؟!

أجابها بنفس العصبية :

- يثيرون الفوضى ، و ...

قاطعته بزمجرة شرسة ، قبل أن تقول في حدة :

- لم يكن هذا سؤالاً .

سألها ، وعصبته تتضاعف :

- ماذا كان سؤالك إذن ؟!

حمل صوتها كل انفعالاتها ، وهي تسأله :

- هل نجحوا في القضاء على ( أدهم ) ؟!

ولم يحرر العامور جوانها هذه المرة ..

فهو نفسه يجهل الإجابة ؟!

أهى بالفعل نهاية ( أدهم صبرى ) ..

أم ماذا ؟!

\*\*\*



## 2- الثعلب ..

تطلع مدير المخابرات المصرية طويلاً إلى ذلك الطلب ، الذي قدّمته له ( منى ) ، قبل أن يرفع عينيه إليها قائلاً :

- إجازة ؟!.. وفي هذا الوقت بالذات ؟!

حاولت أن تتحاشى النظر إلى عينيه ، وهي تقول :

- حالتى النفسية تقتضى هذا ، والتقارير الطبية ..

قاطعها فى هدوء :

- التقارير الطبية كلها لدى هنا .

بدت متوترة إلى حد ما ، وهي تجيب :

- إنها تشير إلى أن حالتى غير مستقرة .

أكمل للمدير :

- وأنت تحتاجين إلى إجازة لأسبوعين على الأقل .. هذا صحيح .

ثم مال نحوها ، مضيقاً فى حزم :

- ولكنها لم تشر إلى حتمية سفرك إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

ارتبكت على نحو واضح ، وهي تقول :

- لقد تصوّرت أنه ...

لم تستطع إتمام عبارتها ، فلاذت بالصمت ، وهي تبتهرها بقّة ، وأشاحت بوجهها على نحو واضح ، جعل المدير يتسّم ، وهو يتراجع فى مكتبه ، قائلاً :

- اسمعى أيتها المقدم .. ربما لست محلاً نفسياً ، ولكننى أدرك ، بحكم عملى وخبرتى ، أن الشخص الذى يصاب بصدمة ، ناتجة عن تجربة قاسية فى مكان ما ، يتحاشى يوماً العودة إلى المكان نفسه ، ما لم تكن هناك ضرورة ملحة تقتضى هذا .

حاولت أن تقاوم تأثيرها وانفعاليها ، ولكن شفتاها ارتجفتا على نحو واضح ، وهو يواصل وقد تسلّلت لمحة حاتية إلى صوته :

- وفى ظروفنا هذه ، توجد ضرورة ملحة بالفعل .. ضرورة تحمل اسماً واضحاً محدداً .

وعاد يميل نحوها ، مكملًا بابتسامة هادئة :

- اسم ( ن - 1 ) .

لم تبد (منى) انفعالا عنيقا ، لدى سماعها الاسم الكودى  
لـ (أدهم) ، وإن سألت دمعان حارتان على وجنتيها فى بطن ،  
وانحدرتا عليهما فى صمت ، ضاعف من شعور المدير بالشفقة  
نحوها ؛ فصمت بدوره بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- هل تشعرين أن (أدهم) بحاجة إليك هناك ؟!

لم تجب عن سؤاله ، وإن راحت دموعها تسيل فى غزارة ،  
وهى عاجزة عن كبحها ، فتابع المدير فى اهتمام :

- المفترض أن (أدهم) فى مهمة تدريبية عادية ، ومحاولة  
لتنشيط قدراته وإعادة تدريبها ، و ...

ارتفع رنين هاتفه الخاص فى تلك اللحظة ؛ فالتقطه بحركة  
سريعة ، ووضعها على أذنه ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

كان من الواضح ، من انعقاد حاجبيه ، أن محدثه ينقل إليه  
معلومة بالغة الأهمية والخطورة ، ولقد استمع إليه المدير بضع  
لحظات ، فى اهتمام بالغ ، قبل أن ينهى المحادثة ، وأيضا دون  
تعليق ، ثم التقط الطلب الذى تقدمت به (منى) ، وهو يقول فى  
صرامة ، تخالف لهجته السابقة :

- إجازتك مرفوضة .

غمغمت فى عصبية :

- فى هذه الحالة ...

قاطعها المدير ، وهو يواصل فى حزم :

- ولكذك ستمسافرين إلى الولايات المتحدة ، على متن أول  
طائرة .

نظرت إليه فى دهشة بالغة ، فأضاف ، وهو يمزق الطلب :

- (ن - 1) بحاجة إليك هناك .

اتسعت عيناها ، فى مزيج من اللفة والقلق ، فتابع المدير فى  
توتر ملحوظ :

- لو أنه مازال على قيد الحياة .

ولرتجف جسد (منى) ..

بمنتهى العنف ..

\*\*\*

راجع مدير (الموساد) ، فى اهتمام بالغ ، تلك الخطبة المعقدة  
مع (راعول) ، قبل أن يشير بيديه ، قائلا فى قلق ملحوظ ، بدا  
واضحا على شاشة الاتصال الكبيرة فى السفارة :



- الخطة تبدو ممتازة على الورق ، ولكن هذا لا يضمن نجاحها في عالم الواقع .

لجابه ( راعول ) في هدوء ، وهو يتطلع إلى صورته ، داخل مكتب أمن السفارة الإسرائيلية في واشنطن :

- ( فرتيوالبتي ) رَجَحَ نجاحها ، بنسبة اثنين وتسعين في المائة .

بدا وكأن مدير الموساد قد أطلق زمجرة مكتومة ، قبل أن يقول :

- مع رجل مثل ( أدهم صبرى ) ، هذا لا يكفي أبداً .

وصمت لحظة ، ثم هتف في حلق ، قبل أن يجد ( راعول ) وقتاً للتعلق :

- ثم إن ( فرتيوالبتي ) هذا مجرد برنامج كمبيوتر متطور .

أشار ( راعول ) بيده في هدوء عجيب ، قاتلاً :

- وبم يدور العالم اليوم ؟! .. بأجهزة الكمبيوتر .. كل شيء تحول إلى منظومة رقمية .. حتى النقود ، تكاد تختلف من العالم المتحضر ، لتحل كروت الائتمان الرقمية محلها .

قال في صرامة :

- مازالت أصر على أنه من المستحيل أن تهزم عقلاً مدرباً ، بوساطة برنامج كمبيوتر ، مهما بلغت دقته .

ابتسم ( راعول ) ، وهو يجيب في ثقة :

- برنامج الكمبيوتر هذا أثبت تفوقاً ملحوظاً ، حتى هذه اللحظة ..

لقد تنبأ بأن ( أدهم ) سيكشف أمر ( رد آي ) ، وسينجح في الاستيلاء على نسخة منه ، وفهم طبيعة عمله ، كما تنبأ بتمرد دونا ( كارولينا ) ، ومحاولتها منح ( أدهم ) فرصة للفرار ، عن طريق إطلاق رجالها خلفه بصورة عننية .

سأله رئيسه في صرامة ، حملت لمحة لهفة خفية :

- وهل تنبأ بمصير ( أدهم صبرى ) عندئذ ؟!

أشار ( راعول ) بيده إشارة لا تحمل معنى واضحاً ، قبل أن يقول :

- الأمر الأهم هو أن كل هذا لا يستهدف رجل المخابرات المصري في الواقع .

تراجع مدير ( الموساد ) في مقعده ، وكأنما فاجأه الجواب ، الذي يعرفه منذ البداية بالفعل ، واعتقد حاجباً في شدة ، وهو يفهم :

- هذا صحيح .

نقر سطح مكتبه بأصابعه بضع لحظات ، قبل أن يكمل مندفعاً :

- هل تأكدت مما أخبرك به ( أبل كوربوف ) ، فى لقاءكما الأخير ؟!

هزّ ( راعول ) كتفيه ، مجيباً :

- إنه زعيم ( المافيا ) الروسية ، وليس مجرد مجرم عادى ،  
وعندما يتحدث فما من سبب يدعو للكذب .

أجابته مديره فى صرامة :

- هل تعتقد هذا ؟!

ابتسم ( راعول ) . ومال إلى الأمام ، كما لو أنه يتحدث محاولاً  
شرح معادلة صعبة لطفل ، وهو يقول :

- ليست مسألة اعتقاد ، وإنما هو استنتاج آخر من استنتاجات

( فرتيوالتسى ) فمعلوماتنا تشير إلى أن ( سونيا جراهام ) قد  
زارت ( سيبريا ) ، قبل سقوطها بفترة قصيرة ، وأنها قد التقت  
هناك ( أبل كوربوف ) ، فى مكان لم يفصح عنه هذا الأخير بعد ،

ولقد استنتج برنامجنا الرقمى الأسطورى ، بعد تخطيطه بالملف العلمى  
والنفسى لـ ( سونيا ) ، أنها كانت تتعاون مع الرجل ، من أجل إنتاج  
سلاح فائق ، يمكنه السيطرة على العالم كله ، لو أننا استخدمنا بقوسيلة  
الصحيحة .

غمغم المدير فى صرامة :

- أعلم هذا .

أشار ( راعول ) بيده ، مكماً :

- المشكلة أن يعلم الآخرون به أيضاً ، فلو أن هناك سلاحاً  
يفوق القنبلة الذرية ، ويمكنه السيطرة على العالم كله ، وإخضاع  
الدول للعظمى ، فينبغى أن يكون هذا السلاح فى قبضتنا نحن ،  
وليس فى أية قبضة أخرى .

اعتدل المدير فى اهتمام ، قائلاً :

- نحن أحق به .

هتف ( راعول ) ، فى حماس مصطنع :

- بالضبط .. لو وضعنا يدينا على هذا السلاح ، فسنصبح عملياً  
أقوى دولة فى العالم ، وزعماء هذه المرحلة ، وسنزيح الكل  
جانباً .. العرب ، والصينيين ، والروس . وحتى الأمريكيين  
أنفسهم .. لن يستطيع أحدهم الوقوف فى وجهنا بعدها ،  
أو فرض شروطه علينا أبداً .

سأله مدير الموساد فى توتر :



- ولكن لو أن (سونيا) توصلت بالفعل إلى سلاح كهذا ،  
وأنها تتعاون مع (كوريوف) بالفعل ، فلماذا لم يستول هذا  
الأخير عليه ، ليصبح أقوى زعيم منظمة إجرامية ، في التاريخ  
كله ؟!

أجاب (راعول) في سرعة :

- لأنه لا يدرك قيمته .

اتخذ حاجبا للمدير ، وهو يتراجع في شك : فتابع (راعول)  
في ثقة :

- لقد التقيت به خصيصاً ، في وكره الخاص في (سيبيريا) ،  
لحسم هذا الأمر بالذات ، ولقد كان شديد الحذر في البداية ، عندما  
صألته عن (سونيا) ووكرها المسمى ، واستجوبني فترة طويلة ،  
أقبل أن يخبرني في حذر الثعالب ، أنه لن يفصح عن الأمر ،  
إلا لو كان المقابل مناسباً .

غمغم المدير في سخط :

- لقد طلب الكثير .

أجابه (راعول) بنفس السرعة :

- ملياري دولار .. نعم .. هذا كثير بالفعل ، ولكن يبدو أن  
(سونيا) كانت قد وعدته بما يقارب هذا .

زمجر المدير ، قائلًا :

- ولكن (سونيا) لم تعد هناك .

قال (راعول) في حذر :

- إلا أنها لا تزال على قيد الحياة .

قال المدير :

- في سجن خاص .

هزّ (راعول) كتفيه ، قائلاً :

- سيدي .. نحن درّبنا (سونيا) ، ونذكر قدراتها بالضبط ،  
ولو أنها قرّرت الفرار من سجنها الخاص ، فلن تنجح قوات  
البحرية الأمريكية كلها في منعها .

ضرب المدير سطح مكتبه بقبضته ، هاتفاً في غضب :

- ماذا دهالك ؟!.. تتحدث كما لو أننا نواجه أساطير ، ليس  
مجرد بشر .

التمعت عينا (راعول) في خبث ، وهو يقول :

- ( أدهم صبرى ) أيضًا مجرد بشر .

أجابته مديره فى حدة صارمة غاضبة :

- نعم .. هو مجرد بشر ، ولكن السؤال الآن هو : أبشرى حتى

أم سابق ؟!

نعم .. هذا هو السؤال ..

للمخيف ..

\*\*\*

على الرغم من كل الدمار ، الذى أصاب ذلك المنزل الآمن فى  
( تشارلوزفيل ) ، ومع كل دهشة ( ماريو ) ورجاله ، لم تكن هناك  
قطرة دم واحدة فى المكان ..

لقد تم سحق كل شيء ..

إلا البشر ..

لم يكن هناك وجود لجثة واحدة ..

أو حتى لأشلاء ..

وفى مزيج من الدهشة والغضب ، هتف ( ماريو ) :

- أين هما .. لقد رصدنا دخولهما ، ولم نرصد خروجهما ،

على الرغم من أننا نحاصر المكان كله ؟!

أشار أحد رجاله إلى أعلى ، هتفًا :

- السقف .

وأضاف آخر فى انفعال :

- أو القبو .

اتفقد حاجبا ( ماريو ) فى شدة ، وأشار بيده إلى مجموعة من  
الرجال ، ثم أشار بنفس اليد إلى أعلى ، فاندفعت تلك المجموعة  
بأسلحتها ، تتشد طريقًا إلى سقف المنزل ، فى حين أشار هو إلى  
مجموعة ثانية ، وإلى مدخل القبو ، فاندفعت تلك المجموعة  
تفتح القبو فى تحفز شرس ..

وفى موقعه ، سمع ( ماريو ) دوى رصاصات عنيفة فى  
القبو ، فشهر مدفعه الآلى ، وهو يهتف فى مقت :

- وجدوهما .

وقدفع بدوره نحو القبو ، وقبل أن يبلغ مدخله ، سمع رصاصات  
أخرى تدوى فى أعلى ، فتوقف مرتبكًا مترددًا .



أهنا هناك في القبو ..

أم فوق المسطح ١٩ ..

وقبل أن يبحث عقله عن جواب ، أو مخرج من هذه الحيرة ،  
هبط أحد رجاله من أعلى ، هاتفًا في انزعاج :

- الشرطة تهاجمنا .

وعلى الرغم من أن هذا أمر طبيعي ، بعد كل ما أثاروه من  
فوضى وذعر ، إلا أن حاجبي ( ماريو ) ارتلعا في دهشة بالغة ،  
وهو يشير بيده بلا صوت أو معنى ، قبل أن يهتف :

- وماذا تنتظرون ١٩ .. اشتبكوا معهم .

ولم تشهد ( تشارلوزفيل ) ، في تاريخها كنه . معركة عنيفة ،  
كالتي شهدتها في ذلك اليوم ..

قوات الشرطة كلها ، وهي قليلة للغاية ، مقارنة برجال دونا  
( كارولينا ) ، حاصرت ذلك المنزل الآمن ، وراحت تمطر رجال  
( المافيا ) برصاصاتها ، وهم يجيئون بها بميل منهمر من القنيران ..

والواقع أن المعركة لم تكن متكافئة قط ..

أكثر من مائة رجل ، من رجال دونا ( كارولينا ) ، يطلقون  
النار على حفنة من رجال الشرطة المحلية ، يحتمون خلف أربع  
سيارات ، امتلأت بالثقوب ، من كثرة ما اخترقها من رصاصات ..  
ولكن حتى هذا الموقف ، وضعته دونا في حساباتها ، وهي  
تضع خطتها .

ودرست كيفية مواجهته ..

ولأنه حفظ خطتها عن ظهر قلب هتف ( ماريو ) برجاله :  
- خزانات الوقود .

وهنا توقف رجاله عن تبادل إطلاق القنيران مع رجال الشرطة ،  
وصوبوا رصاصاتهم كلها نحو خزانات وقود سياراتهم ..

ودوى انفجار السيارة الأولى ، وأطاح بكل رجال الشرطة ،  
الذين يحتمون بها ..

ثم انفجرت الثانية ..

وهنا ، أصاب الهلع من تبقى من الرجال ..

وشهدت ( تشارلوزفيل ) ذلك المشهد المزري ..

رجال شرطة المدينة ، وحماة أمنها ، يفرون هاربين ، تطاردهم  
رصاصات رجال دونا بلا رحمة أو هوادة .

ولأول مرة في حياتها ، تشهد ( تشارلوزفيل ) حمى من الدم ..

وكله تقريباً ، من نساء شرطتها ..

وفى دخل ذلك المنزل الامن ، هتف ( ماريو ) فى ظفر :

- إتهم بنسحبون كالأراتب .

ساله ( لوتشيانو ) فى قلق :

- هل تبادر بالرحيل ، قبل أن تصل الإمدادات ؟

زمجر ( ماريو ) ، قائلًا :

- ليس قبل أن نظفر بقنيمتنا .

قال للرجل فى توتر :

- ولكننا لا ندرى حتى أين ذهبنا .

اتعقد حاجبا ( ماريو ) ، وهو يفكر فى عمق ، قائلًا :

- لقد رصدنا دخولهما ، ولم نرصد خروجهما ، وكنا نحاصر

المنزل من كل ناحية ، واقبحمناه فى كل مداخله فى آن واحد ،

لا يترك سبيلاً سوى ..

قبل أن يتم عبارته ، اندفع أحد رجاله من القبو ، هاتفاً :

- سنيور ( ماريو ) .. لقد عرفنا كيف هربا .

والتمعت عينا ( ماريو ) فى انفعال ..

وشراسة ..

وحزم ..

بلا حدود ..

\*\*\*

لدار ( هشام ) ، حفيد السيد ( حسن ) عينيه فيما حوله فى

دهشة كبيرة ، وهو يقول مبهوراً :

- مدهش .. لم أتوقع هذا أبداً .

تحرك ( أدهم ) فى نشاط جم ، داخل المنزل الآمن الاحتياطى

المجاور للمنزل الأول ، وهو يقول فى حزم :

- من الخطأ أن تسمح لعقلك بالدهشة أو الانبهار ، فى موقف

كهذا .. عليك أن تعاد اختزان كل مشاعرك فى أعماقك ، حتى

اللحظة المناسبة لإطلاقها .

هز ( هشام ) كتفيه ، قائلًا :

- هذا مخالف للطبيعة البشرية .

أجابه ( أدهم ) فى صرامة ، وهو يلتقط حقيقة ، موضوعة

فوق منضدة فى ركن ، وكأنها تقبع هناك فى انتظاره :



- في هذه المواقف نحن لسنا بشرًا .

ثم التفت إليه ، مكملًا في حزم :

- نحن رجال مخبرات .

قال ( هشام ) في عذاه :

- رجال المخبرات بشر أيضًا .

انفجرت شفتا ( أدهم ) ، وكأني بهم يقول شيء ما ، إلا أنه عاد ببطئها ، دون أن يقول سوى عبارة واحدة صارمة :

- هيا .

تبعه ( هشام ) مباشرة ، وهو يسأله في قلق :

- هل ستفادر المكان ، وسط هذه الحرب الدائرة ؟!

أجابه ( أدهم ) في هدوء ، بدا غير متناسب مع الموقف المشتعل :

- لا تتصور أبدًا أن خصمك أقل منك ذكاءً أو كفاءة .. لاختلافنا

سبب دهنهم وحيرتهم لبعض الوقت فحسب ، ولكنهم سيكشفون

حتمًا مدخل النفق السري ، الذي يقود من المنزل الذي اقتحموه

إلى هنا ، وسنجدهم يحاصروننا خلال دقائق .

وفتح بابًا يقود إلى مرآب المنزل ، مستطردًا :

- إنه سباق حياة إذن ، بيننا وبينهم ، ومن يربحه يحيا ، أما من يخسره ..

لم يحاول إتمام عبارته ، ولكن ( هشام ) فهمها ، وامتدعت ملامحه على نحو ملحوظ ، وهو بخطو داخل المرآب ..

وقبل حتى أن يبلف إلى تلك السيارة الرياضية ، التي تقف هناك ، والتي احتل ( أدهم ) مقعد قيادتها بسرعة مذهشة ، سمع صوت رجال دونا وهم يقتحمون المنزل الاحتياطي ، ويمطرون مدخله برصاصاتهم ، فهتف :

- رياه !.. إنهم هنا .

قال ( أدهم ) بمنتهى الصرامة :

- اركب .

كان وقع أقدام الرجال يصم لأذنيه ، وهم يندفعون داخل المكان في عنف وحشي ، ويقتربون بسرعة مذهشة من المرآب ، فهتف ( هشام ) ، وهو يغلّق باب السيارة خلفه :

- لن نجد الوقت حتى لفتح باب المرآب .

قال ( أدهم ) في حزم ، وهو يدير محرك السيارة :

- ومن يحتاج إلى هذا ؟!

ضغط دواسة الوقود بكل قوته ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها الرجال المرآب ..

وانطلقت السيارة الرياضية بكل قوتها وسرعتها ، وإطاراتها تنطق صريراً عنيفاً ، امتزج بدوى رصاصات رجال دونا ، الذين حاولوا اصطيادها .

وبمنتهى العنف ، ارتطمت السيارة بباب المرآب ، وأطاحت به تماماً ، وهى تنطلق فى طريقها ..

ولكن المزيد من رجال دونا كانوا هناك .

وفور رؤية السيارة ، صرخ (ماريو) :

- لا تسمحوا لهما بالفرار .

ومرة أخرى دوت الرصاصات فى (تشارلوزفيل) ..

بمنتهى العنف .

\*\*\*

### 3- انطلاق ..

خيل للمسير (ويليام) أنه قد فقد هدوءه الشهير إلى الأبد ، منذ بدأ تلك التحالف ، الذى يستهدف القضاء على رجل واحد .

رجل اسمه (لدهم) ..

(لدهم صبرى) ..

وفى تلك اللحظة ، داخل الطائرة التى تعبر به المحيط ، من (أوروبا) إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، راوده ولأول مرة ، الشعور بحماسة ما يفعلونه !!

لماذا ؟ ..

لماذا كل هذا الجهد للقضاء على رجل واحد ؟ ..

ربما كان أبرع رجل ، فى تاريخ أجهزة المخابرات كلها ، ولكن أن تتحد مخابرات أربع دول لمواجهة ، فهذا أمر يفوق كل حد .. وربما هذا ما أورثه تلك العصبية ، التى لم يعهدها فى نفسه من قبل قط ..

ربما لأنه لم يعد يشعر بجدوى ما يفعلونه ..

أو أنه يشعر بمنتهى الخطر والتهديد مما يفعلونه ! ..



فماذا لو اتحدت الأجهزة كلها ، بكل قوتها وخبراتها ، وقتلت  
(أدهم صبرى) ، مدعومة بنظمها ودولها ، ثم لم يكتب لها الفوز ..  
وانهزمت ؟! ..

ماذا سيعنى هذا بالنسبة لهم جميعاً ؟! ..

بالنسبة لأجهزتهم ..

ونظمهم ..

ودولهم ..

ستكون فضيحة ما بعدها فضيحة ..

يا له من عار ! ..

ألف ألف عار ..

صحيح أنهم يتبعون أحدث تكنولوجيا العصر ، ويواجهونه  
بأقوى أسلحتهم ، وأفضل رجالهم ..

ولكن الاحتمال لا يزال قائماً ..

حتى ( فرتيو اليتى ) لم يستطع ترجيح فوزهم ، بأكثر من اثنين  
وتسعين فى المائة فحسب ..

وهذا يعنى احتمال فوز ( أدهم ) ، بنسبة ثمانية فى المائة ..

ووفقاً لأى مقياس عملى ، لا تمثل هذه النسبة أهمية كبيرة ،  
لأنه حتى فى الحروب غير المتكافئة ، لا تبلغ احتمالات فوز  
الأقوى أكثر من خمسة وثمانين فى المائة ..

ولكن هذا لا يزال يقلقه ..

وبشدة ..

فعندما تتحالف أجهزة مخابرات أربع دول ، فى مواجهة شخص  
واحد ، أياً كانت قوته وخبراته ، لا ينبغى أن يكون هناك احتمال  
واحد للخسارة ، مهما كانت الأسباب ..

ولأياً كانت التطورات ..

ولكنه يعرف تاريخ ( أدهم ) جيداً ..

ويعرف قدراته ..

ونكسائه ..

وبراعته ..

وهذا ما يخيفه ..

إلى أقصى حد ..

« أما زلت قلقاً بشأن ذلك المصرى ؟! .. »

ألقى ( جون ) السؤال في هدوء ، فلتفتض جسد سير ( ويليام ) على نحو عجيب ، وكأنما أيقظه السؤال بغتة من سبات عميق ، والتفت إلى ( جون ) في حدة ، جعلت هذا الأخير يغمغم :

- هذا جواب كافٍ .

حاول سير ( ويليام ) السيطرة على أعصابه أمام مساعده ، وهو يجيب في نهجة أرادها هادئة ، ولكنها حملت ، على الرغم منه بعض توتره :

- لو أهملت التفكير في خصمك ، فهي فرصة تمنحه إياها ليفوز عليك .

غمغم ( جون ) في لرتباك :

- لقد تعلمنا هذا .

أجابه ( ويليام ) في صرامة :

- المهم أن تذكره .

تنحنح ( جون ) ، قبل أن يقول :

- لم أتسه لحظة واحدة يا سير ( ويليام ) ، والدليل أن رجالنا في بلاد اليانكي<sup>(\*)</sup> ، يبلغونني بما يحدث هناك أولاً بأول ، عبر رسائل الهاتف المحمول .

(\*) اليانكي - سم يطلقه بعض الأوروبيون على الأمريكيين . مستطعم نفس لمصطح ، الذي كان يصفهم به اليهود الحمر ، في بدايات استيطنتهم ( أمريكا الشمالية )

غمغم سير ( ويليام ) في عصبية :

- هذا لا يكفي .

أجابه ( جون ) في ثقة :

- ليس بإمكاننا أن نفعل شيئاً ، حتى نصل إلى هناك أولاً .

لتعقد حاجبا سير ( ويليام ) في تفكير عميق ، وبدأ شمارداً لدقيقة كاملة ، لاذ خلالها ( جون ) بصمت مترقب ، قللاً في حزم :

- ربما يمكننا هذا .

وعلى الرغم من حماقة السؤال ، سأله ( جون ) :

- يمكننا ماذا ؟!

لم يحاول ( ويليام ) إجابته ، وهو يلتقط هاتفه المحمول ، ويجري اتصاله بمكتب المخابرات البريطانية في ( لندن ) ..

وفغر ( جون ) فاه ، في دهشة وانبهار ..

لقد أصبح من الواضح أن التحالف لم يعد مجدياً ..

وكل يلعب في ملعبه الخاص ..

وضد رجل واحد ..

رجل المستحيل ..



لو أن ( هشام ) قد شعر بالانبهار قيراطاً ، عندما التقى بـ ( أدهم ) لأول مرة ، فقد تحول هذا الانبهار إلى مئات الألفنة ، في تلك اللحظات ، في ( تشارلوزفيل ) ..

لقد اقتحم ( أدهم ) بتلك السيارة الرياضية باب المرآب ، وباغت رجال ( ماريو ) ، ولكنهم لم يلقوا سيطرتهم على أنفسهم سوى لحظة واحدة ..

ولأنهم محترفون ، فقد قطلقت رصاصاتهم بعدها نحو الهدف .. وفي غزارة مخيلة ..

وعلى الرغم من أن سيارة ( أدهم ) الرياضية مجرد سيارة عادية غير مصفحة ، فقد انطبق بها في مهارة مذهلة ، دون ذرة واحدة من التردد أو التوتر أو الخوف ، وسط سيل الرصاصات المنهمر .. لقد انحرف فور خروجه من المرآب ، وارتطم بثلاثة رجال أمامه ، فأطاح بهم ، ثم مال بسرعة مذهلة ، على نحو بالغ الخطورة ؛ ليرتطم برجلين آخرين ..

ولأن رجال دونا اعتادوا السيطرة على الأمور من خلال جرأتهم وأسلحتهم وغزارة نيرانهم ، فقد أربكتهم مواجهتهم لرجل يفوقهم جرأة ، مما جعلهم يتراجعون في ارتياح ، فاندفع ( أدهم ) بينهم بسرعة خرافية ، و( لوتشيانو ) بهتف بالرجال في غضب :

- أوقفوه بأي ثمن .

كان ( هشام ) راقدًا في قاع السيارة ، والرصاصات تتطاير فوقه ومن حوله ، وزجاج السيارة يتهشم ، ويتطاير فوق رأسه ، ويعمل أرضية السيارة من حوله ، في حين لم ينحن ( أدهم ) لحظة واحدة ، وهو يواصل اندفاعه ، متجاوزًا حصار رجال ( ماريو ) ، الذين لم يكتمل عندهم بعد ..

ولثوان ثمينة وقف ( ماريو ) و( لوتشيانو ) يحققان في السيارة ، التي حملت طناً من رصاصاتهم ، وهي تنفج مبتعدة ، وقد تحطمت كل نوافذها ، قبل أن ينتفض ( ماريو ) في غضب هائل ، صارخاً :

- خلفه .

تطلق للرجال عائدون إلى سياراتهم ، وصرخت إطارات سياراتهم في عنف ، فوق طرقات ( تشارلوزفيل ) ، وهي تنطلق خلف ( أدهم ) ، في أعنف مطاردة شهدتها المدينة ، في تاريخها كله .. وربما أول مطاردة ..

ما يقرب من عشرين سيارة قوية ، رباعية الدفع ، انطلقت تطارد سيارة رياضية واحدة ..

سيارة تضم متدرب جديد ، في عالم المخابرات ، مع مدربه ، الذي يعد أخطر رجل مخابرات عرفه العالم ..

وأعظمهم ..

على الإطلاق ..

ولأننا لم نعد في زمن المعجزات ، صار من الواضح أن النتيجة ستحسم لصالح رجال دونا ..

حتمًا ..

\*\*\*

« إنهم يطاردونه عبر شوارع (تشارلوزفيل) .. »

نطقها الكولونيل (سميث) في انفعال ، وهو يتحدث مع رئيسه (موريس مولر) هاتفياً ، من داخل الهليكوبتر ، التي تعود به إلى واشنطن ، فأجابه (مولر) في توتر :

- إذن فقد نجا .

تجاهل (سميث) العبارة ، وهو يكمل :

- أكثر من عشرين سيارة قوية تطارده ، و ..

قاطعته (مولر) في توتر أكثر ، مكرراً :

- إذن فقد نجا .

اتعقد حاجباً (سميث) ، وهو يقول في حلق :

- مؤقتاً يا سيدي .. مؤقتاً .. احسبها بكل وسيلة ممكنة ، وستجد أن نجته هذه المرة مستحيلة .. رجال دونا لا يتحركون قط إلا وفق خطة مدروسة ، وأراهنك أنهم يحفظون شوارع وطرق

(تشارلوزفيل) عن ظهر قلب ، وسيطوقون (أدهم) هذا ، ويحاصرونه بسياراتهم القوية ، ويمطرونه برصاصاتهم ، و ...

قاطعته (مولر) مرة أخرى في عصبية :

- إنه ثعلب .

ضم (سميث) شففيه في سخط ، قائلاً في حدة ، لا تتناسب مع فارق الرتب الكبير :

- حتى الثعلب ، مهما بلغ مكره ، لا يمكنه الفرار من قطيع نئاب يستهدفه تحديداً .

سمع زفرة ملتهبة أطلقها (مولر) ، قبل أن يقول في عصبية :

- سنرى .

قال (سميث) في سرعة :

- هذا لا يكفي .

صدم الأسلوب (مولر) ، فهتف بكل عصبية وغضب :

- ماذا ؟!

لتبه (سميث) عندئذ فقط إلى تجاوزه ، فراجع في سرعة ، قائلاً :

- معذرة يا سيدي .. إنما قصدت ضرورة أن يكون لنا دور إيجابي ، في هذه المرحلة من اللعبة .

زمجر (مولر) ، قائلاً :



- ولكن خطة التحالف تنص ..

قاطعه ( سميث ) . متجاوزا مرة أخرى فارق الترتب :

- سيدي .. خطة التحالف تهازلت ، عندما أرسلت دونا (كارولين) رجالها ، وأفضل ما يمكننا فعله الآن ، هو أن ندخل اللعبة بكل قوتنا ، لأنه لو نجح (أدهم) هذا في الفرار من رجال (الماقيا) ، فربما لانعثر عليه بعدها أبداً .

بدأ كلامه شديد المنطقية ، حتى أن (مولر) ، بحكم طبيعته كرجل مخبرات محترف ، تجاوز كل مشاعره ، وتساءل في اهتمام قلق :

- ماذا تقترح ؟

أجابته ( سميث ) بمنتهى الحزم :

- ( المارينز ) .

وصمت ( مولر ) تماماً ..

فأفتراح ( سميث ) كان يعنى نقل العملية برمتها إلى مرحلة جديدة ..

مرحلة تقليدية ..

ولكنها بالغة الخطورة ..

إلى أقصى الحدود ..

\*\*\*

على الرغم من من تجاوزهما سبيل الرصاصات المنهمر ، وانطلاق (أدهم) بأقصى سرعة تسمح بها مسيارته الرياضية ، ظل ( هشام ) قابلاً في قاع السيارة ، حتى قال (أدهم) في صرامة :

- ينبغي أن تعاد المواجهة .

هتف ( هشام ) :

- ليست مواجهة .. إنها منبحة .

قال (أدهم) بنفس الصرامة :

- اعتدل ، حتى يمكنني سماعك .

أدرك ( هشام ) على الفور أنه أمر غير مباشر بالتهوؤ ومواجهة الخطر ؛ فالتقط نفساً عميقاً ، واعتدل يلتفت خلفه ، قبل أن تتسع عيناه عن آخرهما ، وهو يحنق في جيش السيارات ، الذي يطردهما في صرامة ، ويهتف :

- رياه !.. لن يمكننا أن تنجو منهم أبداً .

قال (أدهم) في صرامة أكثر :

- أسخف عبارة يمكن أن ينطقها رجال مخبرات .

هتف ( هشام ) ، وهو يحاول الانكماش في مقعده :

- بكل منطق في الدنيا ...

قاطعه ( أدهم ) :

- أي منطقي ؟

قال في عصبية مرتجلة :

- لا يوجد سوى منطقي واحد .

أجابه ( أدهم ) بمنتهى الصرامة ، وهو يتابع مطارديه ، عبر ما تبقى من مرآة سيارته الخارجية :

- خطأ . لكل منطقي يخالف الآخر ، فالموظف العادي ، الذي يقضى معظم حياته خلف مكتبه ، يرى أنه من غير المنطقي أن يقفز شخص آخر بمظلة ، في منطقة حرب ؛ لينفذ عملية سرية ، والعكس بالعكس .

انكمش ( هشام ) في مقعده ، قائلاً في توتر شديد :

- هناك منطقي عام .

انحرف ( أدهم ) بالسيارة على نحو مباغت ، قائلاً :

- حذار .. فالهزيمة تبدأ دوماً من الداخل ، قبل أن تتفجر من الخارج . والمرء يهزم ، فور شعوره بذلك .

ظهرت مجموعة أخرى من السيارات رباعية الدفع ، عند بداية الطريق ، الذي انحرف إليه ( أدهم ) ، فهتف ( هشام ) في ارتياح :

- رباه ..! هل تحاول إقناعي بأنه مجرد إحساسنا بالنصر قد يجلبه ؟

أدهشه أن واصل ( أدهم ) انطلاقته نحو السيارات القوية ، وهو يقول في حزم شديد :

- كلا بالطبع .

كان ركاب السيارات المواجهة بصوبون مدافعهم الآلية نحو السيارة الرياضية ، فأتسعت عينا ( هشام ) عن آخرهما ، في نفس اللحظة التي انحرف فيها ( أدهم ) انحرافاً مباغتاً ، مندفعاً نحو مركز تجارى كبير من طابق واحد ، وهو يكمل :

- لابد وأن يسبق هذا تخطيط دقيق ، ودراسة مستفيضة .

واندفع نحو مدخل الجراج الأرضى للمركز التجارى ، مضيفاً في حزم :

- وحفظ تام لخريطة الطريق .

انحرفته المفاجئة أربكت خصومه ، من أمامه وخلفه ودوت بعض رصاصاتهم ، التي لم تجد هدفها ، فأصاب رفاقهم في سيارات المواجهة ، قيل أن يرتفع صرير الإطارات للسيارات المرتبكة ، التي لم ينجح معظمها في تفادى الارتطام ..



ومن سيارته ، هتف ( ماريو ) بـرجاله ، عبر نظم اتصال مطلق :  
- المكان الذى دخله له ستة مخارج . أسرعوا بمحاصرتها  
كلها فوراً .

كان الرجال يحاولون الدوران حول المركز التجارى ، لئلا كل  
مخارجه ، فى نفس الوقت الذى اندفع فيه ( أدهم ) بكل قوته .  
عبر الجراح الواسع ، متفادياً أعدة المصلح للضخمة فى طريقه ،  
فتشبث ( هشام ) بمقعده ، هاتفاً :

- سيحاصرون كل المخارج .

أجابه ( أدهم ) فى صرامة :

- هل نسيت القاعدة الهندسية الشهيرة ؟!

سأله ( هشام ) بكل توتره :

- أية قاعدة ؟!

أجابه فى حزم ، وهو يندفع نحو مدخل فى مواجهته مباشرة :

- أقرب الطرق من نقطة إلى أخرى ، هى الخط المستقيم .

كان هناك عشر سيارات تطارده داخل الجراح ، عندما اندفع  
خارجه فى سرعة مخيفة ، محطفاً الحاجز الخشبي الذى يسد  
الطريق ، وقافزاً فوق الشارع الواسع ، قبل أن تكمل السيارات  
الأخرى دوراتها ، حول المركز التجارى نفسه ..

وهذا ما كان يعنيه بقاعته الهندسية الذهبية ..

لقد عبر الجراح تحت الأرض ، من مدخله إلى المخرج المواجه  
مباشرة ، فى حين اضطر القسم الأعظم من خصومه إلى الدوران  
حول المبنى كله ..

والخط المستقيم هو أقرب الطرق ..

وأسرعها ..

لذا فقد اندفع فى الطريق الخلفى بأقصى سرعته ، قبل حتى أن  
تصل سيارات رجال دونا إلى المخرج ..

ومرة أخرى شهدت شوارع ( تشارلوزفيل ) مطاردة عنيفة ..

رهيبة ..

ووحشية ..

ولكن فكرة ما راحت تتكون فى ذهن ( هشام ) ، على الرغم  
من صعوبة الموقف ..

فكرة أن ( أدهم ) لديه خطة ما ..

خطة لم يقصص عنها ..

ولكنه يعرف طريقها جيداً ..

فعلى الرغم من عدد مطاربيه وشراستهم ، كان يشق طريقه فى ثقة ووضوح ، على نحو يوحى بأنه يعرف هدفه جيدا ..

« لديك خطة هروب .. أليس كذلك ؟! .. »

لم يجبه (أدهم) ، وهو يندفع نحو جراج متعدد الطوابق ، خلف مستشفى (تشارلوزفيل) مباشرة ..

ومن بعيد ، غمغم (ماريو) فى توتر ، لم يواجه مثله من قبل قط :

- ماذا يفعل هذا الأحمق ؟! .. لو دخل هذا المكان ، فسيكون قد وقع فى قبضتنا حتما .

تعمم (لوتشيانو) فى عصبية مستنكرة :

- أحمق .

التفت إليه (ماريو) بحركة حادة ، وبدا وكأله سيسبه فى غضب ، إلا أنه لم ينطق بشيء ، وإنما عاد يلتفت إلى مدخل الجراج متعدد الطوابق ، والذي اقتحمه (أدهم) بمنتهى السرعة ، وراح يندفع داخله ، بطارده جيش من سيارات رجال دونا . عبر الطوابق المختلفة .. ولأنه أكثر جرأة وبراعة وتماسكا ، كان يسبقهم بعدة أمتار ..

حتى بلغ السطح ..

وفى جرأة مخيفة ، وبأقصى سرعة تسمح بها محركات السيارة ، التى تضاعف وزنها ، من كثرة ما استقر فيها من الرصاصات ، اندفع نحو حافة السطح ، المواجهة لسطح المستشفى ، الذى خلا إلا من هليوكوبتر طبية قابعة هناك ، وتحمل شعار الشرطة للراعية لها ..

ومع هلعه وارتياحه ، صاح ( هشام ) محذرا :

- لا .. لن يمكنك أن تفلحها .

وخلف (أدهم) ، توقفت كل السيارات المطاردة فى ذهول واقبهار ، وغمغم (لوتشيانو) :

- يا للمجنون !

اندفع (أدهم) مباشرة نحو لوحين من الخشب ، استندا بميل كبير على حافة حاجر السطح ، على نحو يوحى بأنهما هناك لهدف محدود .. وبأقصى سرعته قفز (أدهم) بسيارته الرياضية فوقها ، فعالت مع ميلهما وهى تندفع خارج السطح ..

ثم إلى الهواء مباشرة ..

ومن حلق ( هشام ) انطلقت شهقة قوية مذعورة ..

فالسيارة تطير في الهواء ، قاطعة المسافة بين المسطحين بسرعة مخيفة ، وعلى نحو يوحى بأنه مقصود تمامًا ..

وعرف ( هشام ) عندئذ خطة ( أدهم ) ، ولكنه تساءل في أعماقه في ارتفاع ، ترى هل وضع ( أدهم ) في حساباته زيادة وزن السيارة ، مع كل ما تحويه من رصاصات ؟! ..

هل ؟

\*\*\*

## 4- المارينز ..

على ارتفاع منخفض ، انطلقت الطائرات الروسية ترصد كل شهر ، من أرض ( سيبيريا ) الواسعة ، في نفس الوقت الذي راحت فيه الأقمار الصناعية تلتقط كل الصور الممكنة للمنطقة الجليدية ، بحثًا عن كل ما يمكن أن يثير لمة من الاشتباه ..

« من الوحدة الخامسة إلى القيادة .. كل شيء يبدو طبيعيًا ، ومطابقًا لطبوغرافية الكمبيوتر<sup>1\*</sup> ، المسجلة في طائراتنا .. »

استقبل ( ماليكوف ) النداء في مكتبه ، فقال في حلق :

- وكيف هذا ؟! هل انطلق ذلك الوغد الإسرائيلي في أعماق ( سيبيريا ) ، فقط ليثير سخطنا أو يبحث بنا ؟! ..

أجابه ( يولانسكي ) في اهتمام :

- ولكن تقرير طائرات البحث يتفق مع صور الأقمار الصناعية أيها الرفيق الجنرال .

( \* ) ضوِّرها في دراسة واختبر تضاريس وإعادة تكوينها ، على نحو ثلاثي الأبعاد ، من خلال رسم مبدئي ، أو صور جوية ، أو تخطيط هنسي ، أو خريطة مطبوعة ، بحيث يمكن تحديد المواقع التسمية والارتفاعات والمنخفضات ، والمعاهدات الممهدة وغير الممهدة .



زمجر (ماليكوف) ، قائلاً :

- قلنا لا نستخدم هذا المصطلح .

تراجع (بولانسكى) فى سرعة ، قائلاً :

- معذرة يا جنرال ، ولكننى كنت اقصد أنه حتى صور الأقمار الصناعية ، لم تأت بجديد .. ما يوجد الآن فى (سيبيريا) ، هو نفس ما كان بها ، فى الرابع من يونيو الماضى .

اتعقد حاجبا (ماليكوف) الكثيرين فى شدة ، وهو يقول :

- ولكن فى قلب (سيبيريا) .. أشخاص يمتلكون ما يكفى لإرسال سيارات قوية عبر الثلوج ، وإقامة مهبط طائرات مؤقت ، واستخدام طائرة هليكوبتر دون تصريح مسبق .. أشخاص يتحدثون للقانون ، بكل وقاحة وغطرسة .

هتف (بولانسكى) فجأة :

- (أبل كوربوف) .

رفع (ماليكوف) عينيه إليه بحركة حادة ، فأكمل فى حماس :

- زعيم (المافيا) الروسية .

قال (ماليكوف) فى عصبية :

- أعلم من هو .

تابع (بولانسكى) ، دون أن توقفه عصبية رئيسه :

- لا يخفى على أى رجل أمن أنه يحتفظ بقصر فى قلب (سيبيريا) ، يجرى فيه مقابلاته الهامة ، ويعقد فيه صفقاته الكبرى .

زمجر (ماليكوف) مرة أخرى ، قائلاً فى غضب :

- ونحن نتركه يفعل !؟ ..

قلب (بولانسكى) كفيه ، وكأنما يشير إلى أن الأمر ليس بيده ، فقال (ماليكوف) فى صرامة ، حملت كل العصبية ، التى تعمل داخله :

- أكمل .

قال (بولانسكى) فى اهتمام :

- (كوربوف) هو الشخص الوحيد ، الذى يمتلك كل الصفات الكافية ، والذى يستطيع إقامة مهبط الطائرات المؤقت .

تراجع (ماليكوف) فى مقعده مفكراً ، وهو يقول فى توتر :

- ولماذا يسعى رجل محاورات ، لمقابلة زعيم (المافيا) الروسية ؟!

مال (بولانسكى) نحوه ، قاتلاً :

- أنت تعرف الإسرائيليين مثلى يا سيدى .. إنهم مستعدون للتحالف مع الشيطان نفسه ، دون ذرة من التردد ؛ لو أن هذا يحقق مصالحهم .

حكاً (ماليكوف) ذقته بيده ، مغفماً فى تفكير عميق :

- ولكن أية مصالح يمكن أن يحققها لهم زعيم (المافيا) ؟!

قال (بولانسكى) فى حزم عميق :

- من يدري ؟!

رفع (ماليكوف) عينيه إليه فى بطء ، مجيباً فى صرامة :

- نحن .

ثم اعتدل بحركة حادة ، مكماً :

- نحن ينبغي أن ندرى ، مادامت اللعبة تجرى على أرضنا .

اعتدل (بولانسكى) بدوره ، واتخذ وقفة عسكرية صارمة ، وهو يقول :

- أوامرك يا جنرال .

أشار إليه (ماليكوف) فى صرامة ، قائلاً :

- صور الأقمار الصناعية يمكن خداعها بسهولة ، وكذلك طائرات الاستطلاع ، فكلها ترى الأمور من أعلى فقط ، وهذا لا يكفى لجمع معلومات مناسبة .

كرّز (بولانسكى) فى حزم :

- أوامرك يا جنرال .

عقد (ماليكوف) كفيه ، وهو يقول بلهجة أمرة :

- ماجور (بولانسكى) .. سأسند إليك مهمة خاصة .. خاصة جداً .

والتمعت عينا (بولانسكى) بشدة ..

فهذا ما كان ينشده ..

تماماً ..

\*\*\*

لثانية أو اثنتين ، تجمد المشهد تماماً بالنسبة للجميع ..

سيارة (أدهم) الرياضية بدت أشبه بطائرة صغيرة ، تسبح فى الهواء ، بين سطح الجراج متعذد الطوابق ، و سطح المستشفى ..

وعلى الرغم من قصر تلك الفترة جداً ، انطلقت فى رعوس  
الجميع أسئلة عديدة .. (لوتشيتو) تسائل : هذا الرجل مجنون ؟!

وهل يعتقد أنه سينجح فى بلوغ سطح المستشفى ، الذى يبعد  
عشرة أمتار كاملة على الأقل ؟!

و(ماريو) سأل نفسه : كيف يمكن أن يكون هناك شخص  
يمثل هذه الجرأة ؟!

أما ( هشام ) ، فقد تركز تفكيره كله حول سؤال واحد ..

هل سينجوان ؟!

وفى نفس اللحظة ، التى تفجّر فيها السؤال فى رأسه ، سمع  
(أدهم) يقول فى صرامة :

- اقفز .

اتسعت عيناه فى هلع ، وهو يهتف :

- ماذا ؟!

صرخ فيه (أدهم) بكل قوته :

- اقفز .. هذا أمر .

كانت السيارة ، فى تلك اللحظة ، قد توقفت عن الارتفاع  
والانطلاق فى الهواء ، وبدأت رحلة الهبوط ..

وبدا واضحاً للجميع أنها لن تكمل رحلتها ..

ولن تصل إلى السطح ..

أبداً ..

وكان من الجنون ، كل الجنون ، أن يقفز ( هشام ) منها ،  
على ارتفاع يقرب من الثلاثين متراً ، عن سطح الأرض ..

ولكن صرخة (أدهم) ألقت تفكيره ، وجعلته ينفذ الأمر بسرعة ،  
ودون مناقشة أو تردد ..

وقفز ..

قفز فى نفس اللحظة ، التى لامس فيها إطارا السيارة الرياضية  
الأماميين سطح المستشفى ، قبل أن تعمل إلى الخلف فى شدة ،  
لعجز إطارها الخلفيين عن بلوغ السطح ..

ومع قفزه ، ارتطم جزء من جسد ( هشام ) بالسطح ، ولكن  
معظم جسده ظل خارجه ؛ لذا فقد انزلق جسده بسرعة وبدأ  
يهوى ، فى نفس الوقت الذى هوت فيه السيارة الرياضية كلها ،  
وشاهدها هو تنحصر فى الهواء إلى أسفل بسرعة كبيرة ..

واتطلقت من حلقه شهقة أخرى ..

شهقة تعنى أنه عاجز عن التثبث بشيء ..

أى شيء ..



وأنه سيلحق بالسيارة في سقوطها ..

حتمًا ..

ولكن فجأة ، وفي اللحظة الأخيرة ، أمسكت به يد (أدهم) في قوة ، وجذبتة جذبة مذهشة ، وثب معها جسده كله ، ليجد نفسه واقفاً على طرف السطح ، في مواجهة (أدهم) ، الذي قال بنفس الصرامة :

- هيا .

ثم جذبه وهو يعدو معه ، نحو الهليكوبتر الطبية ..

ولثانية أو يزيد ، تجمد (ماريو) و(لوتشيتو) ورجلهما ، مع انبهارهم بهذا المشهد الخرافى ، قبل أن ينتفض (ماريو) ، صارخاً :

- أطلقوا النار .

ومرة أخرى ، شهدت (تشارلوزفيل) ما لم تشهده ، في تاريخها كله ..

دوى عشرات الرصاصات تطلق ، على مسافة ستة من الأمتار من المستشفى ، تنهمر على سقفها ، مثيرة فزع المرضى ، والأطباء وطواقم التمريض والفنيين ، وحتى زوار المستشفى ، ومحاولة اصطياد (أدهم) و(هشام) ، اللذين يعدوان نحو الهليكوبتر الطبية ، ويقفزان داخلها ، و(هشام) يهتف :

- رصاصاتهم ستسقط الهليكوبتر ،

أجلبه (أدهم) في حزم :

- كلا .. إنها هليكوبتر مصفحة ، تتبع مؤسسة (أميجو) ، والشعار الطبى عليها مجرد خداع .

سأله (هشام) فى دهشة ، ورصاصات رجال دونا تصيب جسم الهليكوبتر ، وترتد عنه بالفعل :

- وما مؤسسة (أميجو) هذه ؟!

أدار (أدهم) محركات الطائرة ، وارتفع بها عن السطح ، وهو يقول فى حزم :

- ربما أشرح لك الأمر ذات يوم .

تفجر غضب الدنيا كله فى أعماق (ماريو) ، وهو يتابع الهليكوبتر ، التى انطلقت مبتعدة ، فى حين غمغم (لوتشيتو) :

- مستحيل !.. هذا للرجل مستحيل .

التفت إليه (ماريو) فى حدة ، صارخاً :

- اصمت .

ارتبك (لوتشيتو) ، وهو يغمغم :

- كنت أقصد أن ...

صرخ فيه ( ماريو ) :

- قلت اصمت .

أطبق ( لوتشيانو ) شفتيه . إلا أن أحد الرجال الآخرين هتف :

- سنيور ( ماريو ) .. ينبغي أن نرحل بأقصى سرعة .

التفت إليه ( ماريو ) ، صارخاً :

- لا تصدر لى تعليمات .

هتف الرجل ، وهو يشير إلى أعلى :

- ليست تعليمات يا سنيور .

رفع ( ماريو ) عينيه في سرعة ، نحو النقطة التي يشير إليها

الرجل ، وامتنع وجهه في شدة ..

فقد وقع بصره على سبع طائرات هليكوبتر ، تتجه نحوهم ..

سبع طائرات تحمل كلها شعاراً مخيفاً ..

شعار مشاة البحرية الأمريكية ..

المارينز ..

\*\*\*

غرق مسئول المخابرات الأمريكي ( موريس مولر ) في تفكير عميق ، وهو يجلس خلف مكتبه صامتاً ، عبر النافذة المجاورة إلى ساحة ذلك المبنى في ( لانجلى )<sup>(\*)</sup> ، وهو شارد تماماً ..

خبرته الطويلة ، ودراسته المستفيضة لملف ( أدهم صبرى ) ، تصيباته بحالة من القلق الشديد تجاه ما يحدث ..

لقد بدأت الأمور على نحو يوحى بأنها خطة محكمة شديدة الإتقان ..

خطة تتحالف فيها أجهزة مخابرات أربع دول ، لم تتجمع في حرب واحدة ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ..

حتى خلال احتلال العراق ، لم يبلغ التعاون هذا الحد .. مطلقاً ..

ولكن كل شيء فسد فجأة ، بسبب حماقة زعيمة ( المافيا ) ..

أو بسبب نكاتها !! ..

(\*) لانجلى : منطقة متعددة الاستخدامات ، السكنية والإدارية ، أشبه بالمدن الجديدة في ( مصر ) ، وهي تقع في ولاية ( فرجينيا ) الأمريكية ، وبها مقر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في وقت كتابة هذه السطور ؛ حيث يتم إنشاء مقر جنود حاليًا .

البريطانيون يرون أنها قد فعلت هذا عمداً ؛ لتحذير (أدهم) مما يحاك له ، على نحو غير مباشر ..

والروس يرون أنها حماقة النساء ؛ لأنهم لا يثقون في ذكاء امرأة قط ..

والإسرائيليون يلزمون الصمت ، وكان الأمر كله لا يخصهم ، على الرغم أنهم من دفع الجميع إلى اللعبة منذ البداية ..

هم صمموا ( فرتيوالتى ) ..

وهم تفاوضوا مع الكل ..

وجمعوهم ..

وأطلقوهم خلف (أدهم) ..

ولكن ما يقلقه بحق ، هو أنهم لم ينطلقوا معهم !!! ..

لقد دفعوا الجميع إلى مطاردة (أدهم) في شراسة ، وإغلاق كل طريق في وجهه ، والإشغال طول الوقت بأمره ، واكتفوا هم بالمراقبة والمتابعة ..

أو بعمل آخر ..

قفزت العبارة الأخيرة إلى رأسه بغتة ، فاتعقد حاجباه في شدة ، ووثب من خلف مكتبه بحركة حادة ..

نعم .. هذا هو التفسير الوحيد ..

والمخيف ..

الإسرائيليون أطلقوا الجميع خلف (أدهم) ، حتى يبعدوا كل الأعين عنهم ..

وهذا يعنى أنهم يقومون بأمر خطير ، يخشون أن يعرفه الآخرون ..

أو أن يلتفتوا حتى إليه ..

وهذا يعنى أنه أمر شديد الأهمية والحساسية بالنسبة لهم ..

وبالنسبة لقوتهم وتفوقهم ..

اشتغلت الفكرة في رأسه أكثر وأكثر ، وهو يعود إلى مقعده في ببطء ، ويتطلع عبر النافذة في شروود كامل ، قبل أن يخطف سماعة الهاتف لخطف ، ويطلب رقماً شديداً خصوصية ، ويقول في تفعل :

- (موريس مولر) .. من لانجلى .. أريد تحديد موعد مع للرئيس .. نعم .. الرئيس شخصياً .

قلها وحاجباه ينعقدان في شدة ..

بمنتهى الشدة ..



اضطراب شديد ، ذلك الذى أصاب ( ماريو ) ورجاله ، فور وصول طائرات قوات المارينز الأمريكية ..

فحتى ( أمريكا ) نفسها ، تعتبر قوات المارينز هذه هى ذرة قواتها ..

رجال تم تدريبهم على أعلى مستوى من المهارة ، واللياقة البدنية ، وحسن التفكير والتدبير ..

رجال لا يتم إرسالهم إلا إلى المهام الصعبة ..

والصعبة جداً ..

لذا ، فقد انطلق ( ماريو ) ورجاله يفرون بمنتهى الفوضى ، فور ظهور طائرات الهليكوبتر ، وتصوّروا كلهم أن نيران المارينز ستتهال عليهم كالْمَطَر ، مع صواريخ طائراتهم ، بعد كل ما أثاروه من فوضى فى ( تشارلوتفيل ) ..

ولكن المدهش أن قوات المارينز لم تتوقف عندهم لحظة واحدة ..

لقد واصلت انطلاقها ، متجاوزة كل شيء ؛ لتلحق بهدفها الرئيسى ..

( أدهم ) ..

ومن موقعه ، وبكل ما تموج به أعماقه من توتر وانفعال ، لمح ( هشام ) قوات المارينز ، التى تتطلق هليكوبتراتهما خلفهما ، فغمغم ، غير قادر على رفع صوته ، من شدة انفعاله ؛ - المارينز .

تعتقد حاجبا ( أدهم ) وهو يدرس الموقف كله مرة أخرى ..

نعم .. إنها قوات المارينز ..

أخطر قوات عسكرية ، فى الولايات المتحدة كلها ..

وهم يطاردونه بسبع طائرات هليكوبتر ..

ووفقاً لمعلوماته ، تلك الطائرات يقودها أمهر طيارى القوات البحرية الأمريكية ، وأكثرهم براعة وجرأة وخبرة ..

ربما كانت الهليكوبتر مصفحة ، ضد رصاصات المدافع الآلية ، ولكنها لن تصمد أمام أول صاروخ من صواريخ المارينز ينجح فى إصابتها ..

وسبع طائرات هليكوبتر ستظفر به حتماً .

لياً كانت مهارته ..

إنها تفوقه قوة ..

وسرعة ..

وتسليحاً ..

فى نفس اللحظة ، التى دارت فيها الفكرة فى رأسه ، لمح صاروخاً ينطلق ، من إحدى طائرات الهليكوبتر ، فجنب عصا القيادة بكل قوته ، وارتفعت به الهليكوبتر على نحو مباغت ، ليتجاوز ذلك الصاروخ فى اللحظة الأخيرة ، وبفارق سنتيمترات قليلة ..

وأمام عيني ( هشام ) المتسعين ، واصل الصاروخ طريقه نبضعة أمتار ، ثم دار حول نفسه ، وكأنه كائن مفكر وعاد ينطلق نحوهما مرة أخرى ..

كان من الواضح أن صواريخ المارينز مزودة بأجهزة توجيه خاصة ..

أجهزة تسمح لها بمطاردة هدفها وملاحقته ، مهما حاول الفرار ..  
ولقد أطلقت طائرات المارينز صاروخاً آخر ، قبل أن يصل إليهما الأول ..

وعندئذ ، أترك ( هشام ) أنها النهاية ..

بلا أدنى أمل ..

وبينما أغمض عيني به كل قوته ، دار ( أدهم ) بالهليكوبتر بحركة سريعة ، فارتفع بها ، مع دورة خلفية ماهرة ، قبل أن يهبط بسرعة مفاجئة ..

ومع الحركات المتصلة العنيفة ، فتح ( هشام ) عيني ، وما إن وقع بصره على المشهد أمامه ، حتى اتسعت عيناه عن آخرهما فى دهشة مذعورة ..

فما يقدم عليه ( أدهم ) كان مذهلاً ..

إلى أقصى حد ..

\*\*\*

نهض مدير المخابرات المصرية يستقبل ( حسن ) فى احترام وترحاب ، وهو يقول فى حرارة :

- سيد ( حسن ) ، كم تسعدنى رؤيتك ، بعد كل هذه السنوات .

بدا ( حسن ) رصيناً ، على الرغم من السعادة المظلة من عيني ، وهو يقول :

- سعادة متبادلة يا سيادة الوزير .

رَبَّتَ المدير على كتفه ، قائلاً :

- لست وزيراً هنا .. إبنى ألتقى بصديق قديم . واستخدام أية ألقاب رسمية يفسد متعة اللقاء .

ثم انتقل من خلف مكتبه ، ليجلس على مقعد مواجه للذي دعا  
( حسن ) للجلوس عليه ، وهو يقول :

- ما زالت أذكر أيامنا الأولى ، عندما أنشأنا معاً هذا الجهاز .

تنهّد ( حسن ) ، قليلاً :

- كانت أياماً مختلفة . كنا في أوج شبابنا وحماسنا ، وكنا  
نعمل ليل نهار ، لإقامة هذا الصرح الضخم .

أشار المدير بيده ، وهو يقول في فخر :

- إنه اليوم أفضل مما كان عليه بألاف المرات .

قال ( حسن ) في رصانة :

- بالتاكيد .

ثم اعتدل في مجلسه ، مستطرداً :

- إنني سعيد بالتأكيد بعودتي إلى الجهاز ، بعد كل ما شهده  
من تطویر . ولكنني واثق من أنك لم تطلب مني الحضور لأرى  
هذه التطورات فحسب .

صمت المدير بضع لحظات ، ثم قال في حزم :

- هذا صحيح .

واعتدل بدوره ، مضيقاً :

- فواقع أنني استدعيتك لأمر يهمك .

سأله ( حسن ) في قلق :

- أي أمر ؟!

صمت المدير لحظة أخرى ، قبل أن يجيب :

- ( هشام ) .

التفت ( حسن ) نفساً عميقاً ، وقال في تفعل ، لم يستطع إخفاءه ،  
على الرغم من سنوات العمل الطويلة في المخابرات :

- أنت تعرف أنني ربيت ( لاهم ) تقريباً ، بعد مصرع ( صبرى ) .  
وقمت بمواصلة البرنامج ، الذي وضعه الراحل بشأنه ، وهذا  
ما شجعتني على أن أطلب منه ...

قاطعه المدير في اهتمام :

- الأمور تطوّرت أكثر مما توقّعت .

امتقع وجه ( حسن ) ، وهو يسأله :

- كيف ؟! .. ماذا حدث ؟!



أجابه المدير ، وهو يميل نحوه :

- مكتبنا في ( واشنطن ) أرسل بعض مراقبيه إلى ( تشارلوتزفيل ) ،  
لتأمين ( ن - 1 ) هناك . إذا صادعت الضرورة ، ولقد أبلغونا ، في  
برقية عاجلة ، أن جيشنا من الخارجين عن القانون ، اشتبك مع  
( ن - 1 ) ، الذي يختبئ بصحبة حفيدك ، في واحد من منازلنا  
الأمّة هناك .

ازداد امتقاع ( حسن ) بشدة ، وهو يقول :

- يا إلهي .. يا إلهي !

نهض المدير من مقعده ، ولوح بيده ، قائلاً في شيء ، من  
الانفعال :

- هذا ما كنت أخشاه .. ف ( ن - 1 ) أشبه بمغناطيس كبير ،  
يجذب إليه الخطر أينما ذهب .. المهمة كان ينبغي أن تكون بسيطة ،  
ومجرد عملية تدريب ميداني ، ولكن يبدو أنهم كانوا يتوقعون  
قدومه على نحو ما ، بل وينتظرونه هناك ، متربصين به ..

قال ( حسن ) في ارتباك :

- ولكن كيف ؟!.. لقد تم الأمر كله بسرعة ، ولا يمكنهم أن  
يتوقعوا لجوئى إلى ( أدهم ) ؟!

أشار إليه المدير ، قائلاً في حزم :

- هذا هو السؤال .. كيف عرفوا ؟!

اتسعت عينا ( حسن ) ، وهو يهتف من مقعده ، قائلاً :

- لعلك لا تتصور أن ..

هتف المدير مقاطعاً :

- معاذ الله يا ( حسن ) .. أنت فوق مستوى الشبهات .

ثم عاد إلى مقعده ، مكماً :

- ولكن هناك لغز في الأمر كله .. لغز يحتاج إلى تفسير .

ونفض مرة أخرى ، ليجلس خلف مكتبه ، متابعاً :

- وإلى معلومات ..

طلب رقماً قصيراً ، ثم رفع سماعة هاتفه ، قائلاً :

- أريد إرسال تعليمات عاجلة ، لعملينا الخاص داخل ( الموساد ) ..

وفوراً .

وانتهى المحادثة في سرعة ، فغمغم ( حسن ) في توتر :

- ولماذا ( الموساد ) ؟!

أجابته المدير في صرامة :

- إما أنهم وراء هذا ، أو يطمون به على الأكل .

غمغم ( حسن ) :

- ليس بالضرورة .

قال المدير بنفس الصرامة :

- ولكنه احتمال كبير .

وترجع في مقعده ، متابعاً في حزم :

- ثم إن علينا هناك في موقع شديد الحساسية ، يسمح له بالاطلاع على المعلومات السرية ، الواردة من ( موسكو ) و ( واشنطن ) ، و ...

قبل أن يكمل عبارته ، ارتفع أزيز خافت من جهاز على سطح مكتبه ، قبل أن تخرج منه ورقة صغيرة ، التفتها في سرعة ، واعتقد حاجباه في شدة وهو يقرأها ، ثم علا يرتفعان ، مع هتافه شديد التوتر :

- يا إلهي !

سأله ( حسن ) في انفعال :

- ماذا حدث ؟!

رفع المدير عينيه إليه ، مجيباً :

- ( ن - 1 ) وحفيذك .

هتف ( حسن ) :

- ماذا لصابهما ؟!

ولم ينس المدير بينت شقة ، ولكن عينيه أفصحتا عن أمور خطيرة ..

خطيرة إلى حد مخيف ..

جداً .

\*\*\*

## 5- الشياطين ..

أغمضت دونا (كارولينا) عينيها في ارتياح عجيب ، تسأل رجلها (ماريو) في هدوء أدهشه ، عبر هاتفه المحمول :

- إذن فقد أفلت منكم .. أليس كذلك ؟!

تصور (ماريو) أن هدوءها هذا نوع من السخرية منه ، فقال في حدة :

- لم يكن هذا بسبب تقصيرنا أو عجزنا .

سألته ، وهي تبتسم ، وتسترخي على فراشها في ارتياح :

- بسبب ماذا إذن ؟!

أجابها في مزيد من الحدة :

- لقد تدخلت قوات المارينز .

اعتذلت بحركة حادة ، هاتفه :

- لصالحه ؟!

أجابها ، وقد أدهشته حنتها للمفاجئة :

- بل لمطاردته .

شحب وجهها ، واختنقت بالصدمة ، حتى أن صوتها خرج ، على الرغم منها متحشرجاً ، وهي تردد :

- لمطاردته ؟!

غمغم مرتبكاً :

- كان من المستحيل أن نواصل مطاردته بعد تدخلهم ، و ...

قاطعته بعبرة عصبية :

- المارينز يطاردونه .. يا إلهي !

لم يفهم (ماريو) ما إذا كتبت عبارتها تحمل انفعالاً أم ابتهاجاً ، فقال في حذر :

- لولمرك يا دونا .

أجابت في خشونة صارمة أمرة :

- الأوامر لم تتغير .. ما زالت أريد (أدهم صبرى) .

قال في دهشة :



- ولكن المارينز سيظفرون به حتمًا .

قالت في حدة :

- ليس حتمًا .

لدهشته كلمتها بشدة ، فلم يملك إلا أن يقول :

- ولكن ..

لم يستطع إضافة كلمة أخرى لقوله ، فلاذ بالصمت للحائر ،

وهي تقول في حدة امرأة :

- ألم تفهم ما قلته بعد ؟!

قال في توتر :

- بلى يا دونا ، ولكن المارينز ..

قاطعتها مرة أخرى :

- المارينز سيبدلون أقصى طاقتهم للظفر به ، فإذا فشلوا ..

هتف بمنتهى الدهشة :

- فشلوا ؟!

صرخت فيه :

- هل ستواصل مقاطعتي هكذا ؟!

لم يكن قد قاطعها مرة واحدة ، منذ بدء حديثهما ، إلا أنه لاذ بالصمت دون اعتراض ، في حين واصلت هي في حدة ، لم يعد لها منها كثيرًا :

- إذا فشلوا فسيحين دوركم ؛ لذا فمن الضروري أن تكونوا دومًا قريبين للغاية .

أراد أن يسألها كيف يمكن هذا ، إلا أنه أثر الصمت والاكتفاء بالاستماع ؛ خشية أن يثير المزيد من غضبها ، ولكنها صرخت فيه ، على الرغم من هذا :

- هل تسمعني ؟!

أصرع يقول مرتبكًا :

- بالتأكيد يا دونا .. بالتأكيد .

أنهت المحادثة بحركة جادة ، وعادت تلقى جسدها على فراشها ، وهي تقول في توتر زائد :

- إذن فقد جذبت إليك قوات المارينز هذه المرة يا (أدهم) ..

« وهذا يتعارض مع خطتك طبقا .. »

انطلقت العبارة بصوت أنثوى هادئ ، على بعد متر واحد منها ،  
قوبلت من فراشها ، فى مزيج من الدهشة والذعر ، واندفعت  
يدها تبحث عن مسدسها ، وهى تحديق فى دهشة هلعة ، فى تلك  
الفتاة الضليلة ، التى وقفت داخل حجرتها فى هدوء شديد ،  
فواصلت الفتاة ، دون أن يبدو عليها أنى قلق ، من تلك المسدس  
الذهبي ، الذى التقطته دونها بالفعل :

- هل تحتاج دون (كارولين) الشهيرة لسلاح ، وهى تلتقى  
بصديقة ؟!

صوبت إليها دون مسدسها ، وهى تقول فى حدة :

- من أنت ، وكيف وصلت إلى هنا ؟!

أجابتها بنفس الهدوء :

- اسمى (تيا) ، ولدى طائرة ستقلع إلى الولايات المتحدة  
الأمريكية ، بعد ساعتين فحسب ، لذا أرئت لختصر تلك الإجراءات  
المهووسة ، التى يمر بها كل من يرغب فى الالتقاء بك شخصيا

صرخت فيها دونا ، وهى تقرب من زر استدعاء طاقم الأمن :

- هذا ليس جوابا .. إجراءات الأمن هنا معقدة للغاية ، ولا أحد  
يمكنه أن ..

أكملت الفتاة ، بلهجة تحمل سخرية مستفزة :

- يصل إليك ؟! .. هذا ما تتصورينه يا دونا .

شعرت دونا بمهانة من السؤال ، فعادت تصرخ فيها :

- من أنت ؟!

تجاهلت (تيا) لحناء السؤال تماما ، وهى تقول ، مشيرة إليها :

- لا تحاولي استدعاء الأمن ، فالمفترض أن هذا اللقاء خاص  
جدا ، لا ينبغي أن يطلع عليه الآخرون ، واخفضي مسدسك السخيف  
هذا ، فهو يفسد روح الود ، التى ينبغي أن تسود .

انعقد حاجبا دونا فى صرامة غاضبة ، وهى تهتف بها :

- أنا من بصر الأوامر هنا .

فجأة ، تحركت (تيا) بسرعة خرافية ، فدارت حول نفسها  
دورة كاملة ، ثم ركلت المسدس من يد دونا ، دون أن تمس

بد هذه الأخيرة ، ثم وثبت وثبة رشيقة ، التقطته خلالها في الهواء ، ودارت حول نفسها دورة أخرى ، لتضرب زر استدعاء الأمن بكعب المسدس وتحطمه . قبل أن تعادل ، وتلقى المسدس في إهمال ، فوق فراش دونا ، وتقول بنفس الهدوء والتعاطف :

- والآن ، هل يمكننا أن نتحدث بصورة أفضل .

امتقع وجه دونا لحظة ، قبل أن يحتقن في غضب ، وهي تقول في عصبية :

- لو تصوّرت أن قتلى سيفريك ، قد ...

قاطعتها (تيا) في سخرية شديدة :

- قتلك ؟

ثم أطلقت ضحكة عابثة ، وجلست على طرف فراش دونا ، قائلة :

- لو أنني أردت قتلك لما شعرت حتى بما أصابك ، ولوجدت نفسك فجأة تجلسين وسط كل من تسببت في مصرعهم ، وأنت تفرشين طريق زعامتك بالدماء .

حنقت فيها دونا لحظات في استنكار ، وكأنها لا تصدق أن أحداً يمكن أن يتحدث معها بهذا الأسلوب ، ثم تتحننت معتدلة ، وهي تحاول استعادة صرامتها التقليدية ، قائلة :

- ماذا أردت متى إذن ؟

أجابتها في سرعة :

- كما أخبرتك .. أن نتحدث .

سألتها دونا ، وهي تجلس على طرف الفراش بدورها في حذر :

- بشأن ماذا ؟

مالت (تيا) نحوها ، مجيبة :

- (أهم) .

وتألفت عينا دونا ..

وابتسمت (تيا) ..

وراحتا تتحدثان ،

طويلاً ..



بحركة انتحارية بالغة الجراءة ، ويستحيل توقُّعها ، هبط (أدهم) بالهليكوبتر في سرعة مذهشة ، وبراعة مستحيلة ، وسط طائرات المارينرز السبع ، ثم تجاوزها إلى أسفل ، وعاد يرتفع بسرعة إلى أعلى ..

وبفضل أجهزة التوجيه الآلية ، تبعه الصاروخان ، ولكنهما وجدا طائرات الهليكوبتر السبع في طريقهما ..  
ودوى انفجار عنيف ..  
ثم ثان ..

وتناثرت شظايا طقرتى هليكوبتر ، تحملان شعار قوات المارينز ، وتناثرت معها أشلاء الرجال داخلهما ؛ مما أثار غضب قائد المجموعة ، فقال لرجاله ، عبر جهاز الاتصال الخاص :  
- لا ينبغي أن نسمح له بالإفلات ، بعدما فعله .

كانت مبادرة (أدهم) الجريئة قد عكست الموقف ، وجعلته هو خلفهم الآن ، مما يستحيل معه أن يطلقوا عليه صواريخهم مرة أخرى ..

ولكن رجال المارينز شياطين بحق ..

لا يملكون القوة الجسدية فحسب ، وإنما دعموها بمهارات شتى ، في مختلف الصنوف ، وجراءة مذهشة ، لا يلتحق بالمارينز

إلا من يتمتع بها ؛ لذا فقد تحركوا في سرعة ، ليفقدوا (أدهم) هذه الميزة ، ففترقوا جميعاً بمبادرة سريعة ، في خمس اتجاهات مختلفة ..

وبكل توتر للدنيا ، غمغم (هشام) :

- إنهم يراعون بحق .

أجابه (أدهم) في صرامة :

- تعاسك .

ثم انخفض بالهليكوبتر مرة أخرى ، واندفع في اتجاه مخالف لطائرات الهليكوبتر الخمس ، فسأله (هشام) في توتر ، لم يستطع التحكم فيه أبداً :

- إلى أين ؟!

أجابه (أدهم) ، وهو يواصل الانخفاض بالهليكوبتر ، متخذاً الاتجاه نفسه :

- أهم ما توجه به خصمك ، رد فعل سريع لكل خطوة يتخذها ، تماماً كالملاكم في حلبة الملاكمة ، يشاهد قبضة خصمه تتحرك ، فيتخذ رد الفعل المناسب قبل أن تبغفه .

قال ( هشام ) ، وهو يلتفت خلفه ، فى قلبى بالغ :

- يمكنهم أن يطلقوا نحونا صواريخهم .

أجابه ( أدهم ) فى صرامة :

- هذا ما سيفعلونه حتماً .

اتسعت عيننا ( هشام ) فى ارتباك ، هاتفاً :

- ماذا ؟!

فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها هتافه ، كان قائد مجموعة المارينز يقول لرجاله ، وهم يعودون للتجمع من اتجاهاتهم الخمس ، بعد ابتعاد ( أدهم ) :

- لقد ارتكب الخطأ الذى تنتظره .

كان ( أدهم ) قد انخفض بشدة ، حتى كاد يلامس الأرض ، فأجابه أحد رجال المارينز :

- إنه يهبط يا سيدى .

اتعقد حاجبها قائد المارينز ، وهو يقول :

- لن نمنحه الفرصة لهذا .

ثم ارتفع صوته ، وكلته يصدر أمراً فى الخلاء ، هاتفاً :

- أطلقوا صواريخكم .

وفى آن واحد ، انطلقت من طائرات الهليكوبتر خمسة صواريخ موجهة ..

وكلها نحو هدف واحد ..

هليكوبتر ( أدهم ) ..

وأمام عيون قوات المارينز المترقبة ، لتجهت الصواريخ كلها نحو الهليكوبتر ، التى كانت تلامس الأرض بالفعل ..

ودوى الانفجار ..

انفجار خمسة صواريخ قوية فى هليكوبتر واحدة ..

وتناثرت للشظايا الهليكوبتر على مساحة واسعة ..

واسعة للغاية ..

بدأ الرئيس الأمريكى صارماً ، ربما أكثر مما ينبغي ، وهو يستقبل (موريس مولر) فى مكتبة للبيضاوى فى البيت الأبيض ، فى حضور وزيرة الخارجية الحالية ، التى كانت تحتل منصب مستشار الأمن القومى فى السابق ، قائلًا :

- مستر (مولر) . المفترض ألا ألتقى بك ، دون معرفة مدير المخابرات .

أجابه (مولر) فى حزم :

- سأبلغه شخصيًا ، لو أمرتنى بهذا يا سيادة الرئيس .

تبادل الرئيس نظرة صامتة مع للوزيرة ، التى قالت فى صرامة :

- هات ما لديك يا (مولر) .

تنحج (مولر) لحظة ، محاولاً تجميع أفكاره ، فاضافت فى حدة :

- وبسرعة .

كان يعرف سرعة انفعالها وخشونة طبعها ، لذا فقد تجاوز هذا على الفور ، وهو يقول :

- نحن نشن حربًا يا سيدي .

تفجرت دهشة مستكرة على وجه الرئيس ووزيره ، وهتف الأول ، فى مزيج من الغضب والقلق :

- أية حرب ؟!.. فى فترة حكمي لا نشن الحروب إلا بأوامري .

رمقه للوزيرة بنظرة مستكرة ، ثم سألت (مولر) فى صرامة :

- أين وكيف ؟!

قالت (مولر) إليها ، وكئيباً فرك من صاحب الكلمة فى الموقف ، وأجابها فى احترام شديد :

- إنها حرب داخلية يا سيدي الوزير .

تعقد حاجبها ، وهى تقول :

- داخلية ؟!

لوما برأسه إيجلاً ، واختلس نظرة إلى الرئيس ، الذى ظل صامئاً متوتراً ، وقال فى بطم :

- حرب للظفر برجل واحد .

زداد تعقد حاجبى وزيرة الخارجية ، فى حين قنقض الرئيس على مقعده ، وقال فى حدة عصبية :



- لا تقل لي إنه ذلك المصري .

أوما (مولر) برأسه مرة أخرى ، قاتلاً :

- هو نفسه يا سيادة الرئيس .

ضرب الرئيس الأمريكى سطح مكتبه بقبضته ، قاتلاً فى غضب :

- ألا ينتهى هذا الرجل أبداً ؟!

وعلى نحو مخالف لكل القواعد ، تجهلت وزيرة الخارجية

عبارة الرئيس تمامًا ، وهى تسأل (مولر) فى توتر :

- ألهذا علاقة بما يحدث فى (تشارلوزفيل) الآن ؟!

أوما (مولر) برأسه مرة أخرى ، وقال :

- الأمر تجاوز (تشارلوزفيل) إلى طريق (واشنطن) .

سأنته فى قلق :

- لماذا ؟! .. ماذا حدث ؟!

أجابها ، وهو ينقل بصره بينها وبين الرئيس ، محاولاً دراسة

رد فعلهما لما سينطلق به :

- لقد تدخلت قوات المارينز .

لتنفض الرئيس فى غضب ، وهو يهتف :

- دون أولمري .

وقالت الوزيرة فى صرامة :

- هذه جريمة .

قال (مولر) فى سرعة :

- ولكنهم أسقطوا طائرة ذلك المصري .

غمغم الرئيس فى تفعلال :

- أسقطوها ؟!

تأملت عينا (مولر) ، وهو يقول :

- نصفوها نصفاً .

ترننت الوزيرة السمراء ، قبل أن تسأله فى حذر :

- وهل تيقنوا من القضاء عليه ؟!

أشار بيده ، مجيباً :

- هذا ما يفعلونه منذ نصف الساعة .

قال الرئيس في عصبية مفاجئة :

- ولكنك لم تأت إلى هنا ، فقط لتخبرنا بمصرع تلك المصري .

أجابته (مولر) بسرعة :

- بالطبع يا سيادة الرئيس . لقد جئت لسبب أكثر خطورة .

سألته الوزارة في اهتمام :

- وما هو ؟

التقط نفساً عميقاً ، وشد قامته ، وهو يقول :

- ما يكمن وراء تلك الحرب ؟

سألته في قلق شديد :

- وما هو .

تألفت عيناه مرة أخرى ، وهو يجيب :

- الإسرائيليون .

وكانت الكلمة تكفي ليتوتر الموقف ..

وبشدة ..

\*\*\*

على الرغم من صلابتهم وقوة شكيمتهم ، بدأ رجال المارينز شديدي التوتر ، وهم ينشون كل شبر من حطام الهليكوبتر ، بحثاً عن أية أشلاء بشرية ..

وتعاماً مثلما حدث هناك ، في ذلك المنزل الآمن ، كانت هناك آلاف الشظايا وقطع الحطام ..

ولكن دون قطرة دم واحدة ..

ولأن الحطام قد انتشر على مساحة واسعة للغاية ، كان من الطبيعي أن يستغرق منهم الأمر فترة طويلة ، بلغت ساعة كاملة ، قبل أن يؤدي أكبرهم رتبة التحية العسكرية أمام قائد المجموعة ، وهو يقول في عصبية حاول كتماتها ، احتراماً لتقائيد المارينز :

- لا توجد أية بقايا بشرية بين الحطام يا سيدي .

اتعقد حاجبا القائد في غضب ، وهو يقول :

- مستحيل ... لقد نسفنا الهليكوبتر بخمسة صواريخ .

قال الرجل في تردد :

- ولكنها ظلت تطير لدقيقة ونصف ، على ارتفاع منخفض ، فوق حقول كثيفة ، و ...

قاطعها القائد في غضب أكثر :

- فهمت .

ثم التقط جهاز الاتصال ، وقال عبره في صرامة أورثها الغضب :

- الهدف نجا من الهجوم الأول ، وتحرك مبتعدا منذ ساعة .. أريد محاصرة كاملة لدائرة واسعة ، نصف قطرها هو المسافة التي يمكن أن تقطعها سيارة مسرعة ، في ساعتين كاملتين . إنها عملية مكافحة إرهاب .. إطلاق النار حتمي ، عند أية بادرة للشك . أكرر .

في نفس اللحظة التي ألقى فيها هذا الأمر ، والتي بدأت منها قوات الحصار تتحرك بالفعل ، وبأعداد تكفي لشن حرب حقيقية ، كان ( هشام ) يشعر بإرهاق وتوتر شديدين بلا حدود ، وهو يقول :

- لم أعد أستطيع الاستمرار .

كان يسير مع ( أدهم ) منذ ساعة كاملة ، وسط حقول واسعة ، في محاولة لتفادي الطرق الرسمية ، مع كل الانفعال الذي يحمله في أعماقه ، منذ التقى به ..

لقد كان يتصور أن عمل المخابرات ، مثلما أخبره جده ، هو عمل عقلي وذهنى بالدرجة الأولى ، ويعتمد على الذكاء والبراعة والحكمة والقدرة على الابتكار ، بأكثر مما يعتمد على القدرات البدنية والعضلية ..

وبإله من قول ، بالنسبة لشخص في موقفه !! ..

ففي أقل من ساعتين ، واجه مع مدرّبه جيشا من القتلة ، أمطروهم بسيل من الرصاصات ، وكان جزءا من مطاردة سيارات عنيفة انتهت على نحو مخيف ، ثم لحقتها مطاردة بطائرات الهليكوبتر . مع قوات المارينز ، انتهت بأن قفز ( أدهم ) من الهليكوبتر ، على ارتفاع خمسة أمتار عن الأرض ، وسط حقول كثيفة ، وشاهد الهليكوبتر نفسها تصاب بخمسة صواريخ أمام عينيه ، وشعر بوهج نيرانها ، وهو منبطح أرضا ، وكل ذرة في كيانه ترتجف ، وشظاياها تتطاير فوق رأسه ، لم يحمه منها سوى النبات الكثيف من حوله ..



وها هو يسير وسط تلك التبات وتلك الحقول ، حتى لم تعد  
كلماته تحتفلان ..

ولكن أكثر ما أدهشه هو أن ( أدهم ) لم يعترض بحرف واحد ،  
عندما أخبره أنه لم يعد باستطاعته الاستمرار ، وإنما على عكس  
الصرامة التي توقعها منه ، بدا حنوناً متعاطفاً ، وهو يربّت عليه ،  
قللاً :

.. حسناً .. فلنجلس قليلاً :

تهالك ( هشام ) وسط الحقل ، وشعر بمتعة شديدة ، وهو يرقد  
بين التباتات الطويلة ، في حين جلس ( أدهم ) إلى جواره في  
هدوء ، وبدا وكأنه غارق في تفكير عميق ، دون أن يبدو عليه أثر  
للتعب أو الانفعال ، على الرغم مما مرّ بهما ، فتطّلع إليه ( هشام )  
بعينين متهاكنتين ، قبل أن يشيح بوجهه ، قللاً في مرارة :

.. أعرف قيم تفكر .

سأله ( أدهم ) في هدوء :

.. قيم ؟

حمل صوته كل أسف ومرارة الدنيا ، وهو يقول :

.. ففي أنني لا أصلح للعمل في المخبرات .

ابتسم ( أدهم ) في حنان ، ولكنه أسرع يخفي ابتسامته ، وهو  
يلتفت إليه ، قللاً بنفس الهدوء :

.. من قال هذا ؟

أجابته ( هشام ) ، وهو يبذل قصارى جهده ليطمأنك :

.. الأحداث .. خوفى ولرتجافى مع كل خطوة قمنا بها .. لقد  
أهكت نفسى للعمل فى مجالات عقلية ، وصراعت فكرية وعملية ،  
ولكننى اكتشفت اليوم أنني أهملت الجانب الجسدى تماماً .. لست  
أقصد بناء الجسد ، فأنا رياضى جيد ، ولكننى أقصد القدرة على  
التعامل به ، فما رأيك تفضله ، جعلنى أفرح أن كل ما مارسته من  
رياضة طيلة عمرى ، لا يصاوى شيئاً فى الواقع .

شعر ( أدهم ) بالكثير من الحنان والإشفاق على الشاب ، ولولا  
أنه ما زال يعتبر أن مهمته الرسمية هى تدريبه ، لربّت عليه بكل  
مشاعره ، إلا أنه تمالك وهو يقول فى حزم :

.. اسمع يا ( هشام ) .. مفهومك للشجاعة والقوة يحتاج إلى  
تعديل هام ، فالشجاعة ليست فى عدم الشعور بالخوف ، فهذا

نوع من البلادة الذهنية والانفعالية ، وإتاما الشجاعة تكمن في مقاومة الخوف ، والقدرة على مواجهته والتصدي له .

اعتدل ( هشام ) ، يسأله في دهشة :

- اتعنى أنك يمكن أن تشعر بالخوف ؟!

ابتسم ( أدهم ) في هدوء ، وقال :

.. أشعر به طوال الوقت .

هتف ( هشام ) في دهشة أكبر :

- أنت ؟!

أوما ( أدهم ) برأسه ، قائلاً :

- نولا الخوف لما قاتل المرء للنجاة . خوفه على نفسه ،

أو على من يحب ، أو على وطنه أو دينه ، هو المحرك الأساسي

لكل طاقاته وقدراته .. هو الذي يدفع الأكرينالين في عروقه ،

فيقاتل كالليث ، ويدافع في بسالة .

كرّر ( هشام ) مبهوراً ، ودهشته تتعظم :

- أنت تعرف الخوف ؟! بعد كل ما رأيتك تفعله ؟!

هزّ ( أدهم ) كتفه ، قائلاً :

- يمكنك أن تقول إنني من كثرة مواجهتي له ، عقدت معه نوعاً

من الصداقة ، جعلته يألّفني وآلفه ، ويعتاد كل منا الآخر .. صداقة

مع الخوف .

حدّق فيه ( هشام ) غير مصدّق لثوان طويلة ، قبل أن يهز

رأسه في قوة ، ويقول في تفعال :

- ولكنني لم أتمكن من مواجهته .

ابتسم ( أدهم ) بنفس الهدوء ، قائلاً :

- وما دورى إذن ؟!

صمت ( هشام ) متطعناً إليه بعينين متسائلتين حائرتين ،

فتابع :

- إنني هنا لتدريتك على العمل المبدئي .. على اعتياد الخوف ..

اعتياد مواجهته ، ومصلحته .

وتسعت ابتسامته ، وهو يضع يده على كتف ( هشام ) ، مضيفاً :

- والانتصار عليه .

سرت في جسد ( هشام ) قشعريرة باردة كالثلج ، من فرط الإعجاب والانبهار ، وهو يحدق في ( أدهم ) ..

منذ سنوات طفولته ، وهو يستمع إلى روايات جده عن ( أدهم ) ..

عن جرائده ..

ومهارته ..

وشجاعته ..

واقسامه ..

وتنبل سماته ..

وكان دوماً يتصور أنه من المستحيل أن يتواجد شخص بكل هذه السمات ..

وحتى في شبابه ، كان يتعامل مع تلك الروايات باعتبارها أسطورة ..

وكل الأساطير ، هناك دائماً مساحة كبيرة للخيال ..

مساحة تتعظم مع كل رواية ..

وكل علم يمر ..

وعندما التقى بـ ( أدهم ) شخصياً ، لم يصدق نفسه في البداية ..

لم يصدق أنه قد التقى بالباطل ..

بالعلم ..

بالأسطورة ..

ولكن الساعتين ، اللتين قضاهما بصحبته ، حولتا كلام التصديق إلى انبهار كامل ..

انبهار بلا حدود ..

الرجل أعظم بكثير مما تصوره ..

أعظم مما رواه جده ..

ومن كل ما قيل عنه ..

إنه أشبه ببطل أسطوري ..

بطل يصلح نموذجاً للعصر ومقياساً للرجولة ..

بطل يحلم كل شاب بأن يصبح مثله يوماً ..

أو حتى نصفه ما هو عليه ..

وبكل إحساسه ، وانبهاره ، غمغم ( هشام ) فى خفوت :

.. وماذا عن القدرات الجسدية ؟!

أجابه ( أدهم ) فى هدوء :

- أنت قلتها . لست تفتقر إلى القدرات الجسدية ، ولكن إلى القدرة على استخدامها ، وهى معادلة طبيعية فى الحياة ، ليست فى البشر وحدهم ، بل حتى فى الدول والحروب الكبيرة ، فالدولة التى تمتلك ترسانة عسكرية ضخمة ، ليس بالضرورة أن تقتصر فى حروبها ، إلا إذا عرفت كيف تجيد استخدام تلك الترسانة ، فدولة أقل منها تسليحاً ، وأكثر تنظيماً وتخطيطاً ، يمكن أن تهزمها بسهولة ، وكذلك البشر .. شخص نحيل يمكن أن يهزم عملاقاً مفتول العضلات ، لو عرف كيف يتحرك ، وأين يوجه ضرباته .

وعاد يتسم ، قائلاً :

- وهذا دورى أيضاً .

تضاعف تبهار ( هشام ) ، فاعتدل جالساً ، وهو يقول فى حماس :

- وأنا رهن إشارتك .

واصل ( أدهم ) إبتسامته ، دون تفعل ، فسلكه ( هشام ) فى اهتمام :

- سؤال أخير .. لماذا لم تعترض بحرف واحد ، عندما طلبت منك التوقف ، لأننى لم أعد أستطيع الاستمرار .

أجابه ( أدهم ) فى هدوء :

- إنها قاعدة عامة يا صديقى .

تساعل ( هشام ) فى حيرة :

- قاعدة عامة ؟!

أوما ( أدهم ) برأسه ، قائلاً :

- بالطبع .. القافضة تسير بقدر احتمال أضعفها ، و ...

بتر عبارته فجأة ، واعتدل بحركة حادة سريعة ، جعلت ( هشام ) يستعيد توتره ، وهو يقول :

- ماذا هناك ؟!

أشار إليه ( أدهم ) بالصمت ، وهو يرهف سمعه جيداً ، مما دفع ( هشام ) إلى أن يرهف سمعه بدوره ..

وانتفض جسده فى قوة ..



لقد كانت هناك أصوات واضحة لأجسام تتحرك وسط  
الحقول ..

ومن كل الاتجاهات ..

ولو ارتفعنا بالمشهد ، فسنراه أكثر إثارة للتوتر والخوف ..

ففي دائرة كبيرة ، كانت قوات المارينز تتحرك لمحاصرة  
الحقول ، في حلقة تضيق ..

وتضيق ..

وتضيق ..

\*\*\*

## 6- حلقة الموت ..

رسم رجل ( الموسلا ) ( راعول ) ابتسامة دبلوماسية متزلفة  
على شفثيه ، وهو ينفذ إلى المكتب للبيضلوى فى البيت الأبيض ،  
قتلاً للرئيس الأمريكى :

- مرحباً يا فخامة الرئيس .. بقدر ما أدهشنى استدعاؤك للعاجل لى ،  
فى هذه الساعة ، بقدر ما تصعدنى رؤياكم الكريمة ، و ..

قاطعه وزيرة الداخلية السمرء فى صرامة :

- لن يفيد هذا يا رجل .

رفع ( راعول ) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

- لن يفيد فى ماذا يا سيادة الوزيرة ؟!

أجاب الرئيس هذه المرة :

- فى ما استدعينك من أجله .

حافظ ( راعول ) على ابتسامته المتزلفة ، وهو يقول :

- ولكننى أجهل سبب استدعائكم لى يا فخامة الرئيس .

قلت الوزيرة فى حدة :

- حقاً ؟!

نقل ( راعول ) بصره بينهما لحظات ، ثم اعتدل في وقفته ، قتلًا .

- يبدو أنه هناك شيء لا أفهمه .

سأله الرئيس في صرامة :

- أية لعبة تدفوننا إليها يا رجل ؟!

رفع ( راعول ) حاجبيه مرة أخرى ، وقال :

- لعبة ؟! . لقد أصبحت عاجزًا عن الفهم تمامًا .

قال الرئيس - في غضب واضح :

- لماذا دفعتم مخابراتنا لخوض تلك الحرب التحالفية المشتركة .

ضد مصري واحد ؟!

ثم ارتفع صوته ، وهو يضيف في حدة :

- وبدون أوامري .

صمت ( راعول ) لحظة ، وهو يدير بصره بين الرئيس

وزيrote ، قبل أن يشد قامته ، قاتلاً في حزم :

- هل يمكنني التحدث إليك وحدك يا فخامة الرئيس ؟!

كان يتوقع جواباً من الرئيس ، ولكن الوزيرة اندفعت قاتلة في

صرامة :

- كلا .

صمت ( راعول ) لحظة ، ثم قال في إصرار :

- هل يمكن يا فخامة الرئيس ؟!

قالت الوزيرة في غضب :

- قلت كلا .

التفت إليها ، قاتلاً في صرامة :

- فخامة الرئيس لم يقلها .

صرخت فيه :

- أنا قلتها .

تردد ( راعول ) لحظة ، قبل أن يقول :

- بدءاً يا سيّتي للوزيرة ، المفترض أن ييلفكم جهاز مخابراتكم

بعرضنا للتعاون ، لا أن نخبركم نحن ، وثانية ما زلت أصر على

أن ألتقي بفخامة الرئيس وحدنا .

عقدت حاجبيها ، وكفيها ، قائلة في حدة :

- سمعت جوابي .

صمت (راعول) لحظات أخرى ، ثم التقط من جيبه ورقة ،  
اتجه بها نحو الرئيس ، ووضعها أمامه مباشرة ، وهو يقول :

- هل تسمح يا فخامة الرئيس ؟!

رمقت الوزيرة الورقة في توتر ، وتحركت بالفعل نحو الرئيس ،  
الذي التقط الورقة في سرعة ، وقرأ محتوياتها في سرعة ، قبل  
أن يمتقع وجهه ، وتزوج عيناه لحظة ، أثارت ظنا من الدهشة  
والفضول لدى الوزيرة ، التي تساءلت في عصبية :

- ماذا تحوى هذه الورقة ؟!

جذب الرئيس الورقة بعيدا ، وأسرع يدها في جيبه ، وهو  
يقول في حدة ، لم تعدها الوزيرة منه :

- اتركينا وحدنا .

تسعت عيناه ، وارتفع حاجباها في دهشة مذعورة ، وهي تهتف :

- ماذا ؟!

كرر في عصبية حادة :

- قلت : اتركينا وحدنا .

نقلت بصرها بينه وبين (راعول) في حدة ، فابتسم هذا الأخير  
في شيء من الشفقة ، قائلا :

- وبسرعة يا سيدي الوزير .

تفجر غضب هائل في ملامحها ، فأضاف في خبث :

- لو سمحت .

عادت تنقل بصرها بينهما ، فلشاح الرئيس بوجهه ، وكلما يتحاشى  
النظر إليها ، مما جعلها تندفع خارجه ، وهي تقول في حدة :

- لن أبعد كثيرا .

لم تكذ تفلح الباب خلفها ، حتى جلس الرئيس على مقعده في  
بطء ، وهو يسأل (راعول) في انكسار :

- كيف علمتم بهذا الأمر ؟!

أجابه (راعول) في لهجة صارمة ، لا تتفق مع وجوده في  
حضرة رئيس أقوى دولة في العالم :

- لسنا نعلمه فحسب يا فخامة الرئيس ، ولكننا نملك كذلك كل  
الوثائق التي تستطيع إثبات هذا .

بدا الرئيس أكثر انكسارا ، وهو يقول :

- لم أخيل قط أن أحدا يمكنه أن ..

قاطعه (راعول) بنفس اللهجة :

- إلا نحن .

وتوقف مرة أخرى ، ليقول في صرامة قاسية :

- وبلا رحمة .

امتقع وجه الرئيس الأمريكى فى شدة ، وهو يقول فى صوت خافت ضعيف منكسر :

- ماذا تريدون بالضبط ؟!

اعتدل ( راعول ) ، وتأثقت عيناه ، وهو يقول فى ظفر ، لم يحاول إخفاءه :

- الآن يمكننا أن نتحدث .... يا فخامة الرئيس .

واقممش الرئيس فى مقعده أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

\*\*\*

على الرغم من الظلام ، الذى هبط على المنطقة كلها ، راح رجال المارينز يتحركون فى ثقة وسرعة ، الاحكام الحلقة حول ( ادهم ) و ( هشام ) ، وهم يضعون على أعينهم أجهزة خاصة للرؤية الليلية ، جعلت ظلام الليل يتحول ، بالنسبة لهم ، إلى نهار أخضر باهت ، فى نفس الوقت الذى حملت فيه شاشة جهازهم

لم يجب الرئيس ، وإنما نظر إليه فى مرارة ، جعلته يتحرك فى المكتب البيضاءوى فى ثقة ، وهو يواصل :

- نحن نوما نعرف كل شيء ، ونسعى لمعرفة كل شيء .. ولا أحد يمكنه الوقوف فى طريقنا ، وسياستنا تعتمد على إزاحة أية عقبة عن طريقنا ..

وتوقف دفعة واحدة . والتفت إلى الرئيس ، وقال فى صرامة ، وبلهجة ذات مغزى :

- أيًا كانت .

قلها وابتسم فى ظفر وثقة ، عندما تكممش الرئيس فى مقعده ، فعاود ( راعول ) تحركه فى المكان ، مواصلاً :

- فمتذ اغتيلنا لـ ( جون كينيدى )<sup>(\*)</sup> ، وحتى فضيحة ( بل كلينتون )<sup>(\*\*)</sup> ، لم يتخذ رئيس أمريكى واحد خطوة ، نرى أنها تسيء إلى أمننا وبقائنا ، إلا أرحناه من الطريق .

(\*) ( جون هيتزجيرد كينيدى ) ( 1917 - 1963 م ) رئيس الخامس والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية ، كن واحداً من دعاة السلام العظمى ، على الرغم من تفضله الساج مع مشكلة الصواريخ الروسية فى ( كوب ) ، ولذى كاد يزدى فى حرب عظمية ثالثة . ولقد تم اعتياله فى ( دالاس ) . على نحو يحسم التاريخ مسؤوليته بعد

(\*\*\*) ( وينيم جيفرسون كلينتون ) ( 1946 - ) . الرئيس لثلى والأربعون للولايات المتحدة الأمريكية . حاول أن يحدث اتوازن الذى يحلم به لكل ، بين العرب والإسرائيليين . قبل أن تصعب مصداقيته بسبب قصصه مع متربة شعبة فى البيت الأبيض ، تدعى ( مونيكا لوينسكى ) .



اللاقط للحرارة صورة جسمين قابضين في مركز الحلقة ، التي تضيق في سرعة ، وقال قائدهم في ظفر ، وهو يشير إلى الشكلين الحراريين على شاشة الجهاز :

- إنها هما .

غمغم أحد رجاله في قلق :

- دعنا لا نتسرع أيها القائد ، ربما كنا مجرد عاشقين ، يستترن بالنباتات الطويلة :

قال القائد في صرامة :

- هل تبدو لك هذه حرارة عاشقين ؟!

لقى الرجل نظرة أخرى على الشاشة ، ثم قال :

- لو أننا أخطأنا ، فلن يرحمنا أحد ، و ..

قاطعه القائد في حدة :

- أصمت .

أطبق الرجل شفتيه ، وواصل تحركه مع الباقيين ، في تلك الحلقة ، التي تواصل الانكماش على نحو سريع ..

ومميت ..

- كيف يعرفون أننا هنا ؟! .. -

نطقها ( هشام ) في قلق ، وهو يحاول مقاومة خوفه ، كما نصحه أستاذه ومدرّبه ، الذي قال في تفكير :

- يستعينون بجهاز ما .

خلف ( هشام ) صوته في حركة غريزية ، قائلاً :

- جهاز يرصد أصواتنا ؟!

قال ( أدهم ) في حزم :

- بل حرارة أجسادنا .

اتسعت عينا ( هشام ) ، وهو يقول :

- وكيف يمكننا مقاومة أمر كهذا ؟!

أجابه ( أدهم ) في سرعة وحزم :

- هناك دوماً وسيلة .

ثم التفت إليه ، مضيفاً :

- هكذا ينبغي أن تفكر دوماً .

ردّد ( هشام ) في قلق حائر :

- وسيلة ؟!

قبل حتى أن يبحث عن تلك الوسيلة ، التقط ( أدهم ) قطعة خشب جافة ، وغصن رفيع ، من النباتات المحيطة بهما . وراح يفرك الغصن بكفيه في سرعة ، وهو يلصق طرفه بقطعة الخشب الجافة .. للوهلة الأولى ، لم يفهم ( هشام ) ما يمكن أن يحدثه هذا ، حتى بدأ الدخان يرتفع من قطعة الخشب الجافة ، التي ينفخ فيها ( أدهم ) بفعه نفخات هدية طوال الوقت ، فقال في انفعال :

- تحاول إشعال نار .. أليس كذلك ؟!

ولم يجب ( أدهم ) ..

ولكن قطعة الخشب الجافة أجابت .

لقد اشتعلت فيها النيران فجأة ، فرفعها ( أدهم ) في سرعة . لتشتعل أوراق النبات الجافة من حولهما ، فالتسعت عينا ( هشام ) ، وتراجع عن النيران بحركة غريزية ، في نفس اللحظة التي صرخ فيها قائد المارينز في غضب :

- يا للثعلب .. أطلقوا النار ، قبل أن نفقد أثرهما .

كان اشتعال النار في الأوراق الجافة قد صبغ شاشة جهاز الاتصال الحراري كلها باللون الأحمر ، فضاعت معالم ( أدهم ) و ( هشام ) ، لذا فقد تردد رجال المارينز في إطلاق النار ، وهتف أحدهم في توتر :

- سيدي .. إنا نصنع حلقة محكمة .

صرخ القائد :

- قلت : أطلقوا النار .

هتف الرجل في توتر أكثر :

- لو فعلنا ، دون هدف واضح ، سنصيب بعضنا البعض .

اتعقد حاجبا القائد في شدة ، وانطلقت صرخة غاضبة ساخطة في أعماقه ..

كيف لم ينتبه إلى هذا ؟!

لو أطلق رجاله النار عشوائيا ، وهم يصنعون حلقة متكاملة ، فسيصيب بعضهم بعضا حتما ! ..

لا بد من وجود هدف واضح ..

هدف يمكن التصويب عليه ..

والكل انتبه إلى هذا ، فيما عداه ..

رجالهم ..

ومساعد ..

وحتى تلك المصري ومن معه ..

الكل أدرك استحالة إطلاق النار ، في غياب رؤية بصرية ..  
أو حرارية ..

لهذا أشعل تلك المصري الثعلب النار .  
والفسد الرؤية ..  
تماماً ..

ولكنهم يحكمون الحلقة حوله تماماً ..  
ولن يجد ثغرة واحدة للإفلات ..  
لذا ، فالحل الوحيد هو الهجوم ..  
الهجوم الشامل ، في حلقة واحدة ..  
في نفس اللحظة ، كان ( هشام ) يقول في اتبهار :  
- لم يطلق أحدهم رصاصة واحدة .

قال ( أدهم ) في حزم :

- لا يمكن أن يفعلوا .

قال في اتبهار أكثر :

- وكنت تعرف ؟!

أجابه ( أدهم ) بنفس الحزم :

- أي رجل عسكري يعرف .

ثم نهض مستطرداً :

- ويعرف قاعدة أخرى هامة .

سأله ( هشام ) ، وهو ينهض بدوره :

- أية قاعدة .

اندفع ( أدهم ) عبر المزروعات ، وهو يجيبه بمنتهى الحزم :

- الهجوم خير وسيلة للدفاع .

لحظتها بالتحديد صرخ قائد المارينز :

- هجوم .

وكان الأمر موجّهاً للجميع ..

بلا استثناء ..

\*\*\*

لم تكد الطائرة الحربية الروسية تهبط ، بين ثلوج سيبيريا ،  
حتى وثب منها الماجور ( بولانسكى ) ، في زى عسكري ميدانى  
كامل ، ووثب خلفه ستة من الجنود ، قنصروا على نحو سريع ،  
وكانهم يحفظون دورهم جيداً ، فالتفت إليهم ( بولانسكى ) ، وقال  
في صرلة عسكرية :

- اتسوا كل ما حفظتموه من تضاريس (سيبيريا) ، وصور  
الأقمار الصناعية عنها ، وانتشروا في مجموعات ثلاثية ، للبحث  
عن أية منشأة خفية أو مستترة .

غمغم أحدهم في قلبي :

- إنها مساحة شاسعة للغاية يا سيدى \* .

أجابته في صرامة أكثر :

- سنفحصها شبرا شبرا .

تبادل الجنود نظرة قلقة ، ثم غمغم آخر :

- ومتى سنلتقى ؟

أشار (بولانسكى) إلى الهليكوبتر ، قائلا :

- سنتواجد الهليكوبتر هنا ، بين الثامنة والتسعة صباحا يومنا .  
ولن نعود إلا بنتائج إيجابية .

مرة أخرى ، تبادل الجنود تلك النظرة القلقة ..

القائد يعرف شيء ما حتما ..

شيء يدفعه للثقة في أنهم سيجدون شيئا ما حتما ..

(\*) تبلغ المساحة الكلية لـ (سيبيريا) (13) مليون كيلومتر مربع

وأن هذا سيستغرق أياما ..

أو ربما أسابيع ..

وبالنسبة لهم ، بدا هذا أشبه بالتواجد في معتقل قديم من  
معتقلات (سيبيريا) القديمة ..

أو سجونها الحديثة ..

أما الماجور (بولانسكى) ، فقد عاد إلى الطائرة ، وهو يقول  
لقائدها :

- ارفع .. سنقوم بجولة جوية تفقدية

قال للطيار في دهشة :

- ولكن القوات الجوية قامت بها من قبل ، ولم تسفر عن  
شيء

أجابته (بولانسكى) في صرامة :

- لم يمتلك أحدهم عيني .

هز الطيار كتفيه ، وارتفع بالهليكوبتر الحربية ، وراح ينطلق  
على ارتفاع منخفض ، فوق الجزء الجليدى غير المأهول من  
(سيبيريا) ، والذي يبلغ نصف مساحتها تقريبا ، ولكن (بولانسكى)  
قال فى حزم :



- يمكننا تضيق نطاق البحث كثيراً .

سأله الطيار في فضول :

- كيف ؟

استعاد ( بولانسكى ) تفاصيل ما حدث ، عندما هبط برجسل ( الموسلا ) فى نفس البقعة ، التى أنزل فيها رجاله الآن ، ثم أتت هليوكوبتر ، وحلقت به نحو الغرب ، ثم قال فى حزم ، وهو يشير بيده :

- سننجه إلى هناك .

أطاعه الطيار ، وانطلق إلى حيث أشار ، وراحت الهليوكوبتر تتطرق ، على نفس الارتفاع المنخفض ، وكأنها تعرف طريقها جيداً ، فى حين راح ( بولانسكى ) يرصد كل شبر من الأرض ، مستخدماً منظراً خاصاً للرؤية ، وحواسه كلها منتبهة إلى أقصى حد ..

ومضت فترة طويلة ، والهليوكوبتر تتطرق ، دون أن ترصد شيئاً ..

ثم فجأة ، هتف ( بولانسكى ) :

- غداً .

سأله الطيار ، وهو يدور بالهليوكوبتر :

- إلى أين ؟

أجابه فى انفعال غريب :

- تلك الهضبة الجليدية ، التى مررنا بها منذ لحظات .

اتجه الطيار مباشرة نحو تلك الهضبة ، ومال ( بولانسكى ) ليتلقى نظرة فاحصة ، و ...

وفجأة ، انطلق صاروخ من مكان خفى فى تلك الهضبة ، نحو الهليوكوبتر مباشرة ، فصرخ قائدها ، وهو يجذب عصا القيادة ، محاولاً تفاديه :

- إنهم يهاجموننا .

اندفع ( بولانسكى ) نحو باب الهليوكوبتر ..

ودوى الانفجار ..

انفجار أضواء ذلك الجزء من ( سيبيريا ) ..

على نحو مخيف ..

\*\*\*

« كيف ؟ .. »

هتفت وزيرة الخارجية بالسؤال فى عصبية ، وهى تواجه الرئيس الأمريكى ، الذى أشاح بوجهه ليتفادى النظر إليها ، وهو يقول فى عصبية أكثر :

- أنا رئيس الولايات المتحدة الأمريكية . ومن حق إصدار أية قرارات ..

قاطعه في حدة :

- لا . ليس من حقك .

انتفض في عنف ، هاتفا

- ليس ماذا ؟

واجهته في شراسة عجيبة :

- نعم .. ليس من حقك اتخاذ أية قرارات ، يمكن أن تؤثر في الشعب الأمريكي ، دون الرجوع إلى الكونجرس .. الدستور ينص على هذا .

هبط من مقعده ، قائلاً في حدة .

- الكونجرس منحني تفويضاً .

قاطعه بنفس الشراسة :

- بشأن الحروب خارج الحدود فحسب ، وليس دخلها ..

أطلقت من عينيه حيرة بغسة ، أكدت شكوكها فيما حدث ، بينه وبين رجل (الموسى) الإسرائيلي ، فاضربت منه ، متسائلة في صرامة .

- بم يهدونك ؟

نظر إليها الرئيس في هلع واضح ، ثم عاد يشيح بوجهه ، في توتر شديد ، فقالت في حزم صارم ، وكأنها تلقن تلميذاً أحد الدروس الهامة :

- أياً كان ما يهدونك به ، يمكننا أن ...

قطعها في حدة :

- لا يهدوننى بشيء .

تراجعت في توتر ، وهى تقول في شك :

- أنت واثق ؟

قال في عصبية .

- لمت في محل دفاع عن النفس .

قالت في صرامة .

- ولكنك تحمل مسئولية أمة كاملة .

هباً من مقعده ، صارخاً في وجهها :

- من حسن الحظ أنني أنا الذى أحملها ، لا أنت .

رمقته بنظرة تفيض مقاً وكراهية ، وهى تقول :

- ما من رئيس حكم دون مستشارين .

لوح بذراعه كلها فى حدة ، هتافاً :

- مستشارين .. لا معلمين .

صمتت طويلاً ، وهو يعود إلى مقعده ، ويديره بحركة حادة ، ليواجه النافذة الكبيرة . المظلة على ساحة البيت الأبيض ، وميل بينهما صمت شديد التوتر ، قبل أن تقول هى فى خفوت ، وهى تبذل جهداً خرافياً ، للسيطرة على أعصابها :

- بـم أصدرت أوامرك ؟!

تجاهل الإجابة المباشرة على سؤالها ، وهو يقول فى توتر :

- ذلك المصرى يجتمعنا للكثير ، ووجوده على قيد الحياة

يسمى إلى وجودنا نحن .

سألته فى دهشة :

- إلى هذا الحد .

قال فى عصبية :

- لا بد من القضاء عليه بأى ثمن .

اتعقد حاجباها فى شدة ، ولانست بالصمت التام طويلاً ، قبل أن تقول فى حذر :

- لم يكن هذا رأيك فى السابق .

قال فى حدة :

- إنه رأى الآن .

صمتت طويلاً هذه المرة ، وأبقت أنهم يهدّدونه بأمر يخيفه ويثير انزعاجه ..

إلى أقصى حد ..

لقد حاولوا هذا مع (جون كينيدى) ، عن طريق (مارلين مونرو) ، تلك الممثلة الأمريكية الفاتنة ، التى سحرت العالم فى زمنها ، ثم انتهت حياتها على نحو غامض ، ما زال يثير التساؤل حتى يومنا هذا ..

تماماً مثلما حدث مع ( كينيدي ) نفسه بعدها ..

ثم فعلوها مع ( نيكسون ) ، و ( ريجان ) ، و ( كلينتون ) ..

كل رئيس اعترض مسارهم تعرض لهذا ..

كل رئيس ..

تقريباً ..

وهي واثقة من انهم قد فعلوها مع الرئيس الحالي ..

أسلوبه العدواني الساذج في معالجة الأمور ، يوحى بأنه قضى فترة شباب عصبية ، ورحولة مضطربة ..

ولا ريب في أنه قد ارتكب خطأ ما أيامها .

خطأ يمكن التقاطه ..

واستغلاله ..

وتوجيهه ..

« ماذا قرّرت ؟! .. »

أعادت سؤالها مرة أخرى ، فلأن الرئيس بصمت متوتر لحظات ، ثم أحاب في صرامة ، حاول عبثاً أن يخفى بها عصبية .

.. لقد أخبرتك .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يضيف ، وقد أفلتت عصبية ، وأعلنت عن نفسها في وضوح مخيف :

.. لقد أصدرت أمراً لكل جهة أمنية وحربية ، بالقضاء على هذا المصري ، وتجنيد كل القوى لهذا الهدف . أياً كان الثمن .

وعلى الرغم من ثقتها في حتمية القضاء على ( أدهم ) ، فقد بدا الأمر مفاجئاً وصادقاً بالنسبة للوزيرة السمراء ..

بل وبدا مخيفاً ..

جداً .

\*\*\*



## 7- السلاح ..

فجأة ، انتفض الماجور ( بولانسكى ) ، وفتح عينيه على اتساعهما فى توتر بالغ :

وبحركة حادة ، اعتدل جالساً ..

كان يرقد وسط هالة واسعة دافئة ، يشير كل شبر فيها إلى فخامة زائدة مبالغ ..

وحوله ، كان هناك ستة رجال ضخام الجثة ، يصوبون نحوه فوهات مدافعهم الآلية ، ومن خلفها عيونهم الباردة ، الخالية من أية مشاعر أو انفعالات ..

أما أمامه مباشرة ، وعلى مسافة أربعة أمتار ، فكان يجلس ( أبل كوربوف ) ، زعيم ( المافيا ) الروسية ، على عرش ضخم عتيق الطراز ، وهو يرتكن إلى مسنده فى لا مبالاة ، ويتطلع إليه فى صرامة أكثر برودة ..

وبكل توتر الدنيا ، قال ( بولانسكى ) :

- إذن فهو أنت .

قال ( كوربوف ) فى صرامة :

- لا تقل لى إنك لم تكن تتوقع هذا .

حاول ( بولانسكى ) أن ينهض ، وهو يقول :

- عملنا يعتمد على أن نتوقع كل شيء .

أشار ( كوربوف ) إلى صدره ، وهو يقول :

- أما عملى ، فيعتمد على معرفة كل شيء .

اتخذ حاجبا ( بولانسكى ) ، وهو يسأله فى حذر متوتر :

- قياتنى تعلم أننا هنا .

ابتسم ( كوربوف ) ابتسامة شديدة السخرية ، وهو يقول :

- هنا أين ؟!

أجاب ( بولانسكى ) فى سرعة :

- كنا نعلم بأمر قصرك فى ( سيبيريا ) .

هز ( كوربوف ) كتفيه فى استهتار ، قائلاً فى سخرية :

- آه .. مقر ( سيبيريا ) .. إننى لم أزره منذ أكثر من عام

كامل .. على الأقل ..

تلفت ( بولانسكى ) حوله فى توتر شديد ، وهو يتساعل فى حذر :

- أين نحن إذن ؟!

لم يكذب يتم تساقطه ، حتى انفجر ( كوربوف ) ضاحكاً ، فى مزيج من الظفر والسخرية والاستهزاء والاستهتار ، قبل أن يقول :

- إذن فأنتم لا تعلمون .

أطبق ( بولاسكى ) شفتيه فى عصبية ، دون أن يجيب ، فقال ( كوربوف ) نحوه ، وأشار إلى الرجال المحيطين به ، فامتدت أيديهم تنتزع ( بولاسكى ) انتزاعاً ، وتدفعه إلى الأمام ، ثم تلقّيه تحت قدمي ( كوربوف ) ، الذى سأله فى اهتمام :

- أنت خبير أسلحة .. ليس كذلك ؟!

نظّع ( بولاسكى ) إليه فى صمت ، دون أن يجيب ، فهوت على رأسه لكمة عيفة ، من أحد رجال ( كوربوف ) ، الذى تراجع فى مقعده ، قائلاً :

- يجب أن تتعلم أنك ستجيب أى سؤال أطرحه ، إما مباشرة ، أو بعد أن نقطع أطرافك ، واحداً بعد الآخر .

ثم عاد يميل نحوه بحركة حادة ، قائلاً :

- أنت خبير أسلحة .

ازدرد ( بولاسكى ) لعبابه فى صعوبة ، وغمغم :

- بحكم عملي .

تألفت عينا ( كوربوف ) فى ظفر ، وتراجع مرة أخرى فى مقعده ، قائلاً :

- عظيم .. لقد استوعبت الأمر بسرعة .

صمت لحظات ، راقب خلالها أظفاره فى استهتار ، ثم التفت مرة أخرى إلى رجل المخابرات السوفيتي ، قائلاً :

- إننى أحتاج إلى استشارتك .

سأله ( بولاسكى ) فى حذر :

- بشأن ماذا ؟!

أجابه بمنتهى الصرامة :

- سلاح .

تفجرت فى أعماق ( بولاسكى ) دهشة عارمة للإجابة ..

( أبل كوربوف ) ، زعيم ( المافيا ) الروسية ، الذى يتعامل بالأسلحة منذ نعومة أظفاره ، يريد استشارته بشأن سلاح ..!

سلاح لم يعرفه ..

ولم يفهمه ..

فأى سلاح هذا ، الذى يجهله رجل مثله ؟! ..

أى سلاح ؟

دارت هذه الأسئلة ، وانطرحت كلها فى ذهنه ، دون أن تتسرب إلى لسانه لحظة واحدة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد بدا وكأن ( كوربوف ) قد سمعها ، وهو يقول :

- لا تطرح على نفسك الأسئلة مسبقاً .

قالها وهو يشير إلى أحد رجاله ، فأحاط عيني ( كوربوف ) بعصابة سمكة ، ثم جذب الرجل : لإجباره على النهوض ، و ( كوربوف ) يواصل فى صرامة :

- استعد يا رجل الحكومة .. سنبدأ رحلتنا .. الآن .

ودفع الرجال ( بولاسكى ) أمامهم ، والأسئلة ما زالت تشتعل فى ذهنه ..

بالمئات ..

\*\*\*

على الرغم من كثرة التقارير ، التى قدمها من تبقى من رجال المارينز ، لم يستطع تقرير واحد منها أن يصف بالتحديد ماذا حدث فى تلك اللحظات هناك ..

فى قلب الحقول ..

لقد اشتعلت النيران ، فأقست جهاز الرصد الحرارى وأجهزة الرؤية الليلية ، وأضاءت الحقول فى الوقت نفسه ..

ومع الدخان الكثيف ، الذى تطلق من النباتات الرطبة ، أصبحت الرؤية شبه منعدمة إلى حد كبير ..

ووسط الدخان ، ومن أماكن مختلفة ، سمع الرجال ، أو معظمهم على الأقل ، صوت لكمت مكتومة ، وتأوهات سريعة ..

وكلما حاولوا تحديد مصدر اللكمت والتأوهات ، بدت لهم وكأنها تنطلق من كل اتجاه ..

ولأنهم متفرقون فى الحقول ، والرؤية ضائعة ، لم يستطع أيهم أن يطلق رصاصة واحدة ..

ثم وصلت سيارات الشرطة والإطفاء إلى المكان ..

ومضت للفوضى ..

ثم جاء رجال الصحافة بسرعة ..

ورجال الإعلام ..

وآلات تصويرهم ..

وأصبحت الفوضى شاملة ..

وكان من المحتم أن ينسحب رجال المارينز ..

مؤقتاً ..

هَذَا مَا شَمَلَهُ تَقْرِيرُهُمُ الرَّسْمِيُّ . الَّذِي قَرَأَهُ ( سَمِيْثُ ) فِي غَضَبٍ ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ فِي حَدَّةٍ :

- مَاذَا يَعْنِيهِ هَذَا ؟! . قُوَاتُ الْمَارِينِزْ ، الَّتِي أَخْضَعَتْ حُكُومَاتٍ كَامِلَةً ، تُفْشَلُ فِي اصْطِيَادِ رَجُلٍ وَاحِدٍ .

قَالَ قَائِدُ قُوَاتِ الْمَارِينِزْ فِي عَصَبِيَّةٍ :

- لَمْ يَكُنْ وَحْدَهُ .

هَتَفَ ( سَمِيْثُ ) :

- آه .. هَلْ مِتَّضَيِّفُ ذَلِكَ الثَّأْبِ ؟!

قَالَ الرَّجُلُ ، وَقَدْ جَعَلَتْهُ عَصَبِيَّتُهُ مُحْتَدًا :

- بَلْ سَأُضَيِّفُ خَبْرَاتِهِ الْمُدْهَشَةَ ، وَجَرَائِهِ الْمُسْتَحْيِلَةَ !.. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَخْبِرُونَا بِأَمْرِهِ الْحَقِيقِيِّ ، قَبْلَ أَنْ نَبْدَأَ الْقِتَالَ ..

قَالَ ( سَمِيْثُ ) فِي غَضَبٍ :

- أَكُنْ هَذَا سَيَصْنَعُ فَارَقًا ؟!

أَجَابَهُ الرَّجُلُ بِنَفْسِ الْحَدَّةِ :

- بِالتَّأَكُّدِ .

ثُمَّ بَدَأَ وَكَأَنَّهُ قَدْ فَقَدَ سَيْطَرَتَهُ عَلَى أَعْصَابِهِ تَعَامًا ، وَهُوَ يَضِيفُ فِي غَضَبٍ :

- لَوْ أَنَّنَا عَرَفْنَا قُدْرَاتِ الْخَصْمِ الَّذِي نُوَاجِهُهُ ، لَأَعَدَدْنَا قُوَّتَنَا وَتَسْلِيحَنَا عَلَى نَحْوِ مُخْتَلَفٍ تَعَامًا .

قَالَ ( سَمِيْثُ ) فِي صِرَامَةٍ ، حَتَّى لَا يَفْقَدَ هَيْبَتَهُ :

- لِيَعْنِي هَذَا أَتُكْمُ قَدْ فَشَلْتُمْ ؟!

انْتَفَضَ الْقَائِدُ ، هَاتِفًا :

- مَظْلُوقًا .

ثُمَّ اسْتَطَرَدَ فِي صِرَامَةٍ شَدِيدَةٍ :

- لَقَدْ أَغْلَقْنَا كُلَّ الطَّرِيقِ ، لِمَسَافَةِ عَشْرَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ ، فَوْرَ نَجَاحِهِ وَفَتْاهِ فِي الْفِرَارِ مِنْ حُلْفَتِنَا الْمَمِيَّةِ ، وَبَعْدَ أَنْ لُصِدَ الرَّئِيسُ أَوَامِرُهُ ، تَحَوَّلَ الْأَمْرُ إِلَى أُولَوِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ ، وَانْضَمَّتْ إِلَيْنَا قُوَاتُ مَكَاوَحَةِ الْإِرْهَابِ ، وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ، تَتِمُّ عَمَلِيَّةُ تَفْتِيشٍ وَاسِعَةِ النِّطَاقِ ، لِإِطْبَاقِ الْحَلْقَةِ نَحْوَهُمْ بِمُنْتَهَى الْإِحْكَامِ هَذِهِ الْمَرَّةَ ، وَلَقَدْ اسْتَعْنَا بِفَرِيقٍ مِنْ خَبْرَاءِ الْبَحْرِيَّةِ ، وَالْمُبَاحِثِ الْقِيَرَالِيَّةِ وَالْمَخَابِرَاتِ ، لِدِرَاسَةِ كُلِّ الْإِحْتِمَالَاتِ بِمُنْتَهَى الدَّقَّةِ ، وَتَقْدِيرِ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ ذَلِكَ النِّعْلَبُ ، لِمُوَاجَهَةِ أَيِّ مَوْقِفٍ وَكُلِّ مَوْقِفٍ .



غمغم (سميث) في اهتمام كبير :

- ( فرتيوالبتي ) .

سأله القائد في حذر متوتر :

- من ؟

أجابه (سميث) في حماس واضح :

- إنه أفضل من كل من لديك ، في فريق الخبراء .. خبير يمكنه أن يتنبأ بكل خطوة يخطوها ذلك المصري ، أو يمكن أن يخطوها .

قال القائد في شك :

- ولكنه شديد الذكاء ، واسع الحيلة ، جم الجرأة ، و ...

أجابه (سميث) في حزم :

- ( فرتيوالبتي ) يضع كل هذا في اعتباره .

بدأ القائد مبهوراً ، وهو يقول :

- أسرع به إلينا إذن .

التقط (سميث) هاتفه ، وقال في حسم :

- فوراً .. ولكن مع وجوده ، انتظر أن يحسم أمر ذلك المصري بأسرع ما يمكن .

سأله القائد في حذر :

- مثل متى ؟

أجابه بمنتهى الصرامة :

- قبل الفجر ..

وكان هذا يعني أن يحمي وطيس المعركة ..

إلى حده الأقصى ..

على الأقل ..

\*\*\*

على الرغم من كل توتر الموقف ، ومن وجودهما داخل قبو منزل خال ، على أطراف العاصمة ( واشنطن ) ، غرق ( هشام ) في نوم عميق ، في ركن المكان ، الذي غرق في ظلام شبه دامس ، لولا لمحة من أضواء الطريق ، تتسلل عبر نافذة علوية صغيرة مستطيلة ، في مستوى الطريق تقريباً ..

وعلى قيد متر واحد منه ، جلس ( أدهم ) مرتكناً بظهره إلى الجدار ، وهو يضم ركبتيه إلى صدره ، وعقله يعمل في عمق ، مع عينيهِ الشاردتين وسط الظلام ..

منذ بدأ رحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، توقع (أدهم) - كعاقبته - أن تتطور الأمور ، على أى نحو كان ..

فكرجل مخابرات محترف ، عليه ألا يخطو خطوة واحدة ، دون أن يدرس كل الاحتمالات ، حتى النادر وغير المألوف منها ولكنه لم يتصور أو يتوقع تلك التطورات أبداً ..

لقد كانوا فى انتظاره ..

رجال مخابرات أربع دول ، كانوا يستعدون لمواجهته ، منذ بدأ رحلته ..

أو حتى قبل هذا ..

رجل المخابرات الروسى ، الذى أوقع به ، أخبره بالكثير .. أخبره أنهم يواجهونه ببرنامج كمبيوتر شديد التطور على الأرجح ..

وبكل قوتهم ..

وتكنولوجياهم ..

وكراهيتهم ..

ورغبتهم فى الانتقام منه وتدمير ..

وعلى الرغم من حالة السكون ، بينه وبين منظمة (المافيا) ، وزعيمها دونا (كارولينا) ، فقد انضمت هذه الأخيرة إلى التحالف .. وأطلقت رجالها خلفه ..

المشكلة التى كانت تضاعف من خطورة كل هذا ، هى حقيقة أن ينفذ ما جاء خصيصاً من أجله ..

أن ينفذ (هشام) ، حفيد السيد (حسن) ، الذى رباه مع والده منذ طفولته ..

لم يكن من الممكن أن يتخلى عنه أبداً ..

مهما كان الثمن .

حتى لو كان هذا الثمن هو حياته نفسها ..

الرجل منحه حياته من حادثته ، ولن يتردد هو أيضاً فى منحه حياته بالمقابل ، إذا ما اقتضى الأمر ..

ألقي نظرة صامتة على (هشام) ، الذى استغرق فى النوم ، وعادت أفكاره تتطلق مرة أخرى ..

الموقف الآن أكثر تعقيداً من أى موقف آخر ، واجبه فى حياته .

ما زالت أجهزة مخابرات أربع دول تطارده فى شراسة .

وما زال رجال دونا (كارولينا) خلفه ..

وقوات المارينز بكل إمكانياتها ..

ودولة كاملة تقف وراء كل هذا ..

أقوى دولة في العالم تسعى خلفه بكل قواتها ، وهو داخلها ،  
بعيداً عن وطنه ، وأهله ، ورفقه ، وبولته ..

وبخوض حرباً مستحيلة ..

حرب بول أربع ، ضد رجل واحد ..

رجل للمستحيل ! ..

وحتى بالنسبة إليه ، بدأ الانصراف في تلك الحرب لمرأ مستحيلاً ..  
مستحيل تماماً ..

فهما بلغت قدراته ، وإلى أي مدى تصل براعته وخبراته ،  
لا يمكن له كرجل واحد ، أن يحارب نصف العالم ، خاصة لو أنه  
مضطر لحماية شخص آخر ..

شخص لا يمتلك أية خبرة ..

على الإطلاق ..

ثم إن كل الدول ، التي انطلقت خلفه ، بكل مراسلة الدنيا ،  
تحمل له البغض والكراهية ، ولديها ثأر شخصي معه ..

الأمريكيون ..

والبريطانيون ..

والروس ..

والإسرائيليون ..

و ..

مهلاً ..

فجأة ، وثبتت الفكرة في ذهنه ، أو فلتنقل إنها قد تفجرت في  
رأسه ، كأنف أنف قبلة دفعة واحدة ..

أين الإسرائيليون ؟ ..

لقد واجه البريطانيين ..

والأمريكيين ..

والروس ..

ولكن ليس الإسرائيليين ..

المفترض ، وفقاً لما انتزعه من رجل المخابرات الروسي ،  
أنهم وراء اللعبة كلها ..

فأين هم ؟!..

أين ؟!..

أين ؟!..

عاد يدير الأمر كله في ذهنه ، واشتغل رأسه كله بالتفكير .  
حتى إنه نهض من مكانه في حركة حادة ، وراح يدور في  
المكان ، محاولاً إيجاد تفسير منطقي للأمر ، و ...

وفجأة سقط ضوء مصباح كهربى على وجهه ..

وبحركة بالغة السرعة ، وثب ( أدهم ) إلى الخلف ، مبتعداً عن  
دائرة الضوء ، والتصق بالجدار مرهقاً سمعه بشدة ..

وقبل أن تمضى ثوان عشر ، كان قد أدرك ما يحدث في  
الخارج ..

إنهم رجال المارينز ..

لقد أحاطوا بالمنزل ..

وأسقطوه في فخ محكم ..

محكم إلى حد الموت ..

\*\*\*

تعتقد حاجبا الإسرائيلي ( راعول ) في شدة ، وهو يطالع ذلك  
التقرير الأمنى ، الذى قُئمه له الملحق العسكرى للسفارة الإسرائيلية  
فى ( واشنطن ) ، وسأله فى صرامة واهتمام :

- إنن فقد أرسل الروس فريقاً محترفاً إلى ( سيبيريا ) .

أجابه الملحق العسكرى ، فى اهتمام بالغ :

- يقول عملينا هناك إنه أفضل فريق لديهم .

قال ( راعول ) فى خشونة :

- لن يصنع هذا فرقاً .

تراجع الملحق العسكرى فى دهشة ، ولم يحاول مناقشة الأمر ،  
ولكنه اكتفى بأن اتخذ وقفة عسكرية ثابتة ، قائلاً :

- هناك معلومة أخرى ، بلغتنى هاتفياً يا أدون ( راعول ) .

سأله ( راعول ) فى حدة :

- أية معلومة ؟!

أجابه الرجل على الفور :

- قوات المارينز حدثت موقع ( أدهم صبرى ) .



التفت إليه ( راعول ) بحركة حادة ، فأضاف في سرعة :  
- تقريبا .

سأله في عصبية :

- ماذا تعنى كلمة ( تقريبا ) هذه ؟! .. إما أنهم قد حدثوا  
موقعه أو لا .

قال الملحق العسكرى فى ضيق :

- هم أنفسهم لا يمكنهم الجزم .. لقد حدثوا خمسة أماكن محتملة ،  
ويقومون بمحاصرتها كلها .

قال ( راعول ) فى سخرية عصبية :

- هل بلغ ذكائهم هذا الحد ؟!

صمت الملحق العسكرى لحظة ، وأجاب :

- إنه ( فرتيوالتى ) .

هتف ( راعول ) فى غضب واستكثار :

- ( فرتيوالتى ) ؟!

قال الملحق العسكرى ، وقد أورثه هذا بعض العصبية :

- المفترض أننا قد صممناه لمعاونتهم .

تعتقد حليبا ( راعول ) ، وهو يقول :

- نعم .. هذا ما صممناه من أجله .

ظل صامتا بضع لحظات ، وكأنما يدير أمرا ما فى ذهنه ، ثم  
عاد يقول فى صرامة :

- فليكن .. سنترك لهم أمر ( أدهم ) .

شعر الملحق العسكرى بدهشة عارمة للعبارة ، التى بدت متناقضة  
بشدة مع ما يحفظه كل رجل مخابرات إسرائيلى عن ظهر قلب ،  
من أن ( أدهم صبرى ) هو عدوهم رقم واحد ، ولكن ( راعول ) تابع  
بنفس الصرامة ، وهو ينطق هاتفه المحمول :

- ولنتهم نحن بأمر الروس .

تضاعفت دهشة الملحق العسكرى ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ،  
حتى صاح فيه ( راعول ) فى هدوء :

- اتركنى وحدى .. إنها محادثة خاصة للغاية .

أسرع الملحق العسكرى الإسرائيلى بغادر الحجرة ، ويطلق  
بابها خلفه ، فى حين ضغط ( راعول ) أزرار هاتفه المحمول برقم  
خاص ، ولم يكده يسمع صوت محادثته ، حتى قال فى حزم :

- إنه أنا . ( راعول ) .. صلتى بذلك الحقيقى ( كوريوف ) .. فوراً .

قالها وعيناه تلتصقان على نحو خاص ..

نحو مخيف ..

للغاية ..

\*\*\*

طوال أكثر من نصف ساعة كاملة ، ظل الماجور (بولانسكى) صامتا ، وهو يجلس بين رجلين ضخمي الجثة ، من رجال (كوروبوف) ، داخل شىء يتحرك فى سرعة .

لم يكن سيارة من أى طراز ..

كان جسما شبه بيضاوى ؛ كما أدرك عندما استند إليه ، قبل أن يدفعوه داخله دفعا فى خشونة ..

وهو ليس تام الإغلاق ؛ فالهواء البارد يرتطم بوجهه طوال الوقت ..

ثم إنه يسير فوق قضبان مثل القطار ..

أو فوق قضيب واحد على الأرجح ، تماما مثل (المونوريل) \*  
اليابانى الشهير .

(\*) المونوريل قطار خاص ، تم ابتكاره لأول مرة فى أواخر القرن التاسع عشر ، واسمه يعنى القطار الذى يسير على قضيب واحد ، ولقد استخدمته مؤسسة (ديرس) فى البداية كوسيلة للتنشئة والإيهار ، إلا أنه سرعان ما انتشر فى أماكن عديدة - أشهرها (لوس أنجلوس) الأمريكية ، و(سيدنى) الأسترالية

إنه يجزم بهذا ، مع الحركة المنظمة ، وذلك الشعور الذى يملأ كيان المرء ، عندما يركب قطارا من أى نوع ..

وهم ينطلقون حتما داخل نفق ما ..

نفق واسع ..

مضاء ..

ومكيف الهواء ..

نفق لا يمكن رصده عبر الاستطلاع الجوى ..

أو الرصد البصرى العادى ..

لهذا لم يكشفوا أمره أبدا ..

ولكن كيف تم تنفيذ كل هذا ، فى غفلة من النظام الروسى كله ؟!

كيف ؟!

هناك حتما لعبة فساد كبرى ، خلف كل هذا ..

لعبة شملت الجميع .

حتى جهات المراقبة ..

هناك من دفع ملايين الدولارات ؛ لإقامة كل هذا ، دون أن

يعرف بأمره أحد ..

ذلك الوكر شديد الفخامة ، الذي استعد وعيه فيه ، بعد أن وثب من الهلوكوبتر في اللحظة الأخيرة ، قبل انفجارها المروع .

وذلك العمر ، الذي ينطلق فيه الآن ..

والله وحده يعلم ماذا أيضا ..

كل التقارير الأمنية تؤكد ، منذ فترة طويلة ، أن قوة ونفوذ (أبل كوربوف) ، ومن خلفه (المافيا) الروسية تتضاعف وتتضاعف ، مع مرور الوقت ..

ولقد قرأ هذه التقارير ألف مرة أو أكثر ، ولكنه لم يتخيل قط ما بلغه الأمر ..

لقد صار (كوربوف) دولة داخل دولة ..

بل وربما أصبح أكثر قوة من الدولة نفسها ..

وها هو ذا يأمره ، دون أن يهتز له جفن ، ويقوده عبر نفق طويل ، إلى حيث يحتفظ بسلاح ما ..

سلاح يفوق قدرته على الاستيعاب ..

عند هذه النقطة ، كان من الطبيعي أن ينتقل تفكيره ، من (أبل كوربوف) إلى ذلك السلاح ..

السلاح الذي أثار قلقه وخوفه ، قبل حتى أن يراه ..

السلاح الذي لم يفهمه زعيم (المافيا) الروسية ..

أو يستوعبه ..

أو يدرك ماهيته ..

قبل أن يتمسك في أفكاره ، شعر بتلك المركبة تتوقف تدريجيا ، مع صوت (كوربوف) داخلها ، يقول في صرامة :

- استعد يا رجل الحكومة .

أدهشه أنه لم يشعر بوجوده معه طوال الوقت ، وأنه ظل صامتا ، حتى هذه اللحظة ، ولكنه غمغم :

- أنا مستعد .

شعر برجال (كوربوف) ينتزعونه انتزاعا ، ثم يدفعونه أمامهم في خشونة عبر ممر آخر ، و (كوربوف) من خلفه ، يقول :

- اتصم أن تعرف طبيعة هذا السلاح ، فحياتك كلها يمكن أن تعتمد على هذا .

غمغم (بولانسكى) في عصبية :

- لو أنه سلاح جديد ، فربما يستغرق الأمر بعض الوقت ، قبل الجزم بماهيته .

قال ( كوربوف ) فى صرامة :

- أمامك ساعة واحدة .

قال ( بولانسكى ) ، فى عصبية أكثر :

- وإن لم تكف ؟!

توقفوا جميعاً ، و ( كوربوف ) يقول فى شراسة قاسية :

- سيكون هذا من حسن حظك .

نطقها ورجاله يتزعجون تلك العصابة السمكية عن عينيه بحركة حادة ، فأغشى الضوء عينيه لحظة ، جعلته يغلقيهما فى قوة ، ثم عاد يفتحهما فى بطاء وحذر ..

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحسنى فى ذلك السلاح ، الذى توسط قاعة هائلة ..

للسلاح الذى بدا أكثر خطورة من كل ما جال حتى فى كولبيسه ..

أكثر خطورة من كل هذا ..

ألف مرة .

\*\*\*

## 8- حرب رجل واحد ..

لم تكد طائرة سير ( ويليام ) فى مطار ( جى . إف . كيه ) فى ( نيويورك ) ، ويغادرها مع مساعده ( جون ) ، حتى استقبلهما مندوب من المخابرات الأمريكية فى احترام ، قائلاً :

- سير ( ويليام ) .. مستر ( جون ) .. مرحباً بكما فى الولايات المتحدة الأمريكية .

تجاوز ( ويليام ) عبارات المجاملة التقليدية بسرعة ، وهو يسأل الرجل فى حزم :

- إلى أين وصلتكم ، مع ذلك المصرى .

لتقى رجل المخابرات الأمريكى نظرة على ساعته ، قبل أن يجيب :

- سنوقع به خلال أقل من نصف الساعة .

سأله ( ويليام ) فى لهفة ، لم يستطع إخفاءها :

- هل عرفتم أين هو ؟!

أجابته الأمريكى فى هدوء :

- ليس لديه مكان يذهب إليه .

توقف ( ويليام ) ، وسأله فى حدة ، أدهشت ( جون ) نفسه :



- هل عرفتم موقعه أم لا ؟!

توقف الأمريكى بدوره ، قائلاً :

- لقد حاصروا المنطقة كلها يا سيدى .

قال ( ويليام ) بنفس الحدة :

- ولكنكم لم تحدثوا موقعه بالضبط .

شد الأمريكى قامته ، وقال فى حزم :

- بالحصار الذى صنعناه ، لا يمكن لمعوضة أن ...

قاطعه ( ويليام ) فى حدة أكثر :

- كيف تتلقون تدريباتكم أيها الأمريكيين ؟!.. أليدربونكم فقط على

التسويق والمراوغة ؟!.. أليست لديكم أجوبة مباشرة ، لأى سؤال واضح .

بدالك ( جون ) أن الأمريكى يعانى من نفاذ صبر ، وهو يسأل

سير ( ويليام ) فى برود متعمد :

- ما سؤالك بالضبط يا سيدى .

قال ( ويليام ) فى صرامة ، المفترض أن تخفى توتره :

- سألتك أكثر من مرة .. هل حدثتم موقع ( أدهم صبرى )

بالضبط .

شد الرجل قامته ، وأجاب بأسلوب عسكرى :

- حددنا للمواقع الخمسة الوحيدة ، التى يحتمل تواجدہ فيها .

قال ( ويليام ) :

- إن فلم تظفروا به بعد .

أجابه الأمريكى ، فى برود شديد :

- كلاً .

ثم استدار ، وواصل طريقه ، دون أن يحاول معرفة ما إذا كانتا

قد اتبعاه أم لا ، وهو يقول :

- سنذهب الآن إلى مقرنا الرئيسى ، و ...

قاطعه سير ( ويليام ) فى صرامة :

- بل سنذهب إلى ميدان المعركة مباشرة .

توقف الأمريكى مرة أخرى بحركة حادة ، وقال فى شيء من

الصرامة :

- الأولمى تقول ...

قاطعه (ويليام) بغضب هادر هذه المرة ، وفي صوت مرتفع ،  
جذب دهشته وانتباه كل رواد المكان :

- الميدان مباشرة .

صمت الأمريكي لحظة ، ربما ليسيطر على أعصابه ، قبل أن  
يقول في صرامة واضحة :

- لا بد من إبلاغ الرؤساء أولاً .

أجابه سير (ويليام) ، وهو يندفع خارج مبنى المطار :

- فليكن .. أخبرهم أنني بالفعل في طريقى إلى هناك . هيا  
يا (جون) .

وقف الأمريكي صامتا صارما ، وثقا من أنهما لن يعرفا لسلنا  
أين ميدان المعركة ، إلا أنه فوجئ بسيارة ذات أرقام دبلوماسية  
بريطانية ، تتجه إليهما فور خروجهما من المبنى ، فيدلفان إليها في  
سرعة ، وتتطلق بهما على الفور ، قبل حتى أن يلتقط رقما ..

ولم تستغرق دهشة رجل المخابرات الأمريكى سوى لحظة واحدة ،  
أسرع بعدها يلتقط هاتفه ، المحمول ، ويقول عبره فى توتر :

- كولونيل (سميث) .. البريطانيون دخلوا اللعبة .. على الرغم  
منا .

ومن توتره وانفجاده حاجبيه ، كان من الواضح أن (سميث)  
قد اشتعل غضبا للعبارة ..

ولن غضبه كله قد تفجر ..

بمنتهى العنف ..

\*\*\*

لم يكد الملازم (جون لارك) يتلقى تلك الإشارة ، من الهليكوبتر  
الحربية الأمريكية ، التى رصدها رادار جزيرة السجن الخاص ، حتى  
اتعقد حاجباه فى شدة ، وغمغم فى قلق :

- كيف لم تصلنا أوامر مسبقه بهذا كالمعتاد ؟!

صمت لحظات مفكرا ، ثم ضغط زر جهاز اتصال ، على موجة  
خاصة وسرية للغاية ، وقال :

- من (ج . ص) إلى القيادة . لم تصلنا أية أوامر ، بشأن  
هليكوبتر حربية . تقترب بسرعة من الجزيرة .

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يأتية صوت صارم ، يقول :

- إنها مهمة عاجلة ، لم يتسن الوقت لإبلاغك بها .

قال فى قلق أكثر :

- ولكن الأوامر المستديمة تحتم ...

قاطعه صاحب الصوت الصارم في حدة :

- قلت ، إنها مهمة عاجلة . سيصلك أمر رسمي خلال لحظات .

تسارع في حذر :

- أعلننا أن نستقبلها إذن ؟

لم يجبه صاحب الصوت الصارم ، في حين سأل مسنول الرادار في قلق :

- الهليكوبتر تواصل الاقتراب ، ووسائل الدفاع الجوي مستعمل آليا ، خلال نصف الدقيقة ، ما لم نوقفها يدويا .

انعقد حاجبا ( لارك ) في شدة ، وهو يدير الأمر في رأسه ، ومسئول الرادار يريكه بقوله المتوتر :

- أربعون ثانية تبقت .. خمس وثلاثون .. ثلاثون .. خمس وعشرون ..

هتف ( لارك ) في صرامة عصبية :

- أوقفها .

قالها ، ثم اندفع خارج المكان ، متجها إلى مهبط الطائرات ، الذي أحاط به عشرة جنود مدججين بالسلاح ، في زى الميدان ،

وكلهم يصوبون مدافعهم الآلية نحو المنطقة التي ستهبط فيها تلك الهليكوبتر الحربية ، التي راحت تقترب ، حتى أصبحت فوق دائرة الهبوط ، فتوقفت في الهواء لحظة ، ثم راحت تهبط في ببطء ، نحو مركز الدائرة تماما ، والجنود يصوبون مدافعهم الآلية نحوها ، في تحفز شديد ..

ثم فجأة ، توقفت الهليكوبتر ، على ارتفاع نصف متر فحسب من الأرض .

وراحت تدور حول نفسها ..

ومع دورانها ، انطلقت رصاصات مدفعها الالى فجأة ، تحصد كل ما حولها ..

سبل من النيران المباغثة ، اتهمر على الجنود ، وأطاح بسبعة منهم في اللحظة الأولى ، فصرخ ( لارك ) المصدوم فيمن تبقوا :  
- خيانة .. أطلقوا النار .

بدأ الجنود الثلاثة يطلقون رصاصاتهم على الهليكوبتر المصفحة ، التي دارت تواجهم في ببطء ، جعل عينا ( لارك ) تتسرع ، وهو يصرخ :

- رباه !

ثم وثب وسط منطقة منخفضة ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها من الهليكوبتر صاروخ ، نحو الجنود الثلاثة المتبقين ، والذين حاولوا الفرار بدورهم ، ولكن الصاروخ كان أسرع منهم بالتكيد ..

ودوى الانفجار ..

وفى مكانه المنخفض ، شعر ( لارك ) بالنيران تتوهج فوقه ، وبرأسه يكاد يشتعل ، وهو يردد صارخاً :

- يا إلهى !.. يا إلهى !

تطلقت صفارات إنذار قوية فى الجزيرة كلها ، ولكن الهليكوبتر هبطت فى هدوء ، على الرغم من هذا ، وقبل حتى أن تستقر على الأرض ، وثبت منها ستة من رجال أشداء ، فى ثياب مضادة للتيران والرصاص ، وانبعث صوت أنشوى من داخل الهليكوبتر ، يقول بلهجة صارمة امرأة :

- ابدعوا الهجوم .

اندفع الرجال عبر الممر المواجه للمهبط ، وهم يطلقون نيرانهم فى غزارة ، فى حين هبطت ( تيا ) الحصناء من الهليكوبتر فى هدوء ، وعقدت ساعديها أمام صدرها ، وهى تبسم ابتسامة ظافرة ، وكلما تنق تماماً فى قنصارها ، وغمغت فى جذل واضح :

- أخيراً سنلتقى مرة أخرى أيتها الزعيمة .

واقصعت ابتسامتها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

\*\*\*

أظن غضب شديد الاستنكار من عيني رئيس الوزراء الإسرائيلى ، وهو يطالع الورقة التى قدمها له مدير ( الموساد ) ، ثم قال فى حدة :

- تريدون ملياري دولار أمريكى ؟!.. هل جئتم ؟!

أشار مدير ( الموساد ) بيده ، قائلًا :

- إنه ثمن خمس ، مقارنة بما سنحصل عليه بالمقابل ، يا سيادة رئيس الوزراء .

سأله رئيس الوزراء فى حدة :

- وما الذى سنحصل عليه ؟!

أجابه مدير ( الموساد ) فى انضاب حازم :

- القوة .



تطلع إليه رئيس الوزراء الإسرائيلي في توتر حذر لعدة لحظات ، قبل أن يقول في عصبية خفيفة :

- اشرح أكثر .

شذو مدير ( الموساد ) قامته . وقال في حزم .

- إنه ثمن سر سلاح جديد ، يفوق كل ما لدى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها من أسلحة .. سلاح يمكنه أن يمنح صاحبه قوة تكفي للسيطرة على العالم .

اتسعت عينا رئيس الوزراء في انبهار . مغففا بصوت لاهث ، من شدة الانفعال :

- العالم ؟!

أوما مدير ( الموساد ) برأسه إيجاباً ، وقال في حزم أكثر :

- العالم كله .. وبلا منافس أو منزع .

ظل رئيس الوزراء الإسرائيلي يحدق فيه بمنتهى الدهشة والانبهار لدقيقة كاملة ، قبل أن يسأله :

- ودرجة ثقتكم في هذا .

أشار مدير ( الموساد ) برأسه ، قائلاً :

- تفوق التسعين في المئة .

أجابه رئيس الوزراء الإسرائيلي :

- هذا يكفي .

ثم التقط قلمه ، ووقع الطلب الذي قدمه له مدير ( الموساد ) ، وهو يضيف :

- ويستحق ثمنه .

واعتدل مدير ( الموساد ) في ارتياح :

فبهذا التوقيع ، أصبح باستطاعة ( إسرائيل ) أن تصبح أقوى دولة في العالم ..

بلا منزع ..

\*\*\*

« ( هشام ) .. استيقظ .. »

همس ( أدهم ) بالعجالة في هدوء عجيب ، وهو يهز ( هشام ) في رفق ، جعل هذا الأخير يفتح عينيه في تكاسل ، متسائلاً :

- هل أشرقت الشمس ؟!

أجابه ( أدهم ) بنفس الهمس :

- إنهم يحاصروننا .

أطارت العبارة أية لمحة للنوم من ذهن ( هشام ) ، وجعلته يشب من مكانه ، هائلاً في ذعر شديد :

- يحاصروننا ؟!

وضع ( أدهم ) يده على فمه في سرعة ، وهو يقول في صرامة هامة :

- لم يتيقنوا من وجودنا بعد ، ويحاولون ضمان عدم قدرتنا على الخروج ، قبل أن يبدعوا الهجوم ، للبحث عنا .

همس ( هشام ) في توتر :

- ولكنه منزل خاص وخال ، ولا يمكنهم اقتحامه دون موافقة صاحبه هكذا ينص القانون الأمريكي .

قال ( أدهم ) ، وهو يجنبه في خفة :

- فيما يخص الإرهاب ، الذي اعتبروه أخطر ما يواجهونه ، ألغوا كل قوانين الحريات ، ويكفى أن يعتبروننا إرهابيين ، وينسبون إلينا محاولات تفجير وبث الدمار والذعر في المجتمع ، حتى يبيع

لهم القانون الاستثنائي اقتحام المكان دون إذن أو إنذار ، بل وتدميره عن آخره أيضاً ، وبعدها سيكتفون بدفع التعويضات المالية الكافية ، وينفضون أيديهم من الأمر كله .

تسأل ( هشام ) ، وهو يتبعه في توتر :

- ولكن أين نذهب هذه المرة ؟!.. إنه مجرد منزل خال وجدناه في طريقنا ، وليس منزلاً آمناً مجهزاً للفرار .

اتفقد حاجبا ( أدهم ) ، وهو يقول في صرامة :

- لا تنس أبدا القاعدة الذهبية ..

ثم التفت إليه مضيقاً :

- هناك دوماً وسيلة .

« لا ينبغي أن نترك ثغرة واحدة هذه المرة .. »

نطقها قائد المارينز ، في توافق مذهش مع عبارة ( أدهم ) الأخيرة ، وهو يشير إلى رجاله لتطويق ذلك المنزل الصغير ، عند ضواحي العاصمة ( واشنطن ) ..

كان منزلاً منفصلاً ، محاطاً بحديقة واسعة نسبياً ، تجعله مكشوفاً من كل الاتجاهات بلا استثناء ..

وكان رجال المارينز يحيطون به تماماً ..



دون ثغرة واحدة ..

وبينما راح بعض فنييهم يحيطون الحديقة بمصابيح ضوئية قوية ، أخذ البعض الآخر يعمل على تركيب جهاز معقد ، له شاشة كبيرة ، وأحدهم يقول للقائد :

- إنه جهاز رصد حرارى حركى ، سيرصد أى جسم حتى يتحرك داخل المنزل ، بوسيلة أشبه بما تفعله أشعة (رونجن) (\*) .

سأله القائد فى صرامة :

- مهما بلغ حجمه .

أوما للرجل برأسه ، مجيباً فى ثقة :

- حتى ولو كان فاراً صغيراً .

اعتدل القائد ، قائلاً :

- عظيم .. لقد أفلتوا منى مرة ، ولن أسمح لهم بتكرار هذا

مهما كانت الأسباب ..

(\*) فيلهلم كونراد رونتجن ( 1845 - 1923 م ) : فيزيائى ألمانى ، له أبحاث ماثورة ، فى علم الحرارة والميكانيكا والكهرباء ، ويعرف عالمياً بأنه الذى كشف أشعة الموجة القصيرة وأشعة (رونجن) ، عام ( 1895 م ) ، التى تعرف باسم أشعة ( x ) ، وتستخدم فى تشخيص الأمراض والصور .

وضرب سطح الجهاز بقبضته ، مستطرداً فى وقت :

- لقد راهنت على هذا بمستقبلى .

أسرع الخبير يحمى الجهاز ، وهو يقول :

- وستريح يا سيدى .. ستريح بالتأكيد .

وتأكد من أن الجهاز لم يصب بأية أضرار ، من تأثير الضربة ، قبل أن يضيف :

- إنك لم تترك لهم ثغرة واحدة بالفعل .

قال القائد فى صرامة :

- هذا صحيح .

ثم أشار إليه مستطرداً بلهجة أمرية :

- ابدأ البحث .

ضغط الرجل زر الجهاز ، وانتظر لحظات ، قيل أن تظهر عليه صورة للمنزل من الداخل ، أشبه بخريطة ثلاثية الأبعاد ، ثم بدأ جسمان حراريان يتحركان فى خفة ، فى منطقة المطبخ ، فهتف الخبير فى ظفر :

- ها هما ذان .

تألفت عينا القائد ، واعتدل في حزم ، هاتفا :

- ابدأ .

وفي لحظة واحدة أشعل رجاله كل المصابيح الضخمة ، التي تحيط بالمنزل ، فأضيت كلها دفعة واحدة ، لتحيل ظلام الليل إلى نهار ، ولتتبع القائد هذا بصرخته العسكرية القوية :

- اهاجم .

وكما بدأ الأمر انتهى ..

رجال دونا هاجموا ذلك المنزل الآمن في البداية ، وهاهم أولاء رجال المارينز بكل أسلحتهم ..

وغضبهم ..

وحزمهم ..

وعزمهم ..

وكانت أوامره تنص على أمر واحد ، تم التشديد عليه بشدة ..

القضاء على ( أدهم صبرى ) ..

مهما كان الثمن ..

ولما كان .

\*\*\*

نهاية الجزء الثانى بحمد الله





و. نيسن فاروق

# رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية  
للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

## الخُطة

- جيش من رجال دونا ( كارولينا ) يهاجم ( أدهم ) وتلميذه ( هشام ) هناك في ( تشارلوتزفيل ) الأمريكية ..
- وأجهزة مخابرات أربع دول تسعى لتدميره ، بكل قوتها ، وخبرتها ، وعددها ، وعدتها ..
- وخطة محكمة خبيثة ، يحاول بها الإسرائيليون السيطرة على العالم كله ..
- وعلى ( أدهم ) أن يواجه كل هذا وحده ، في مهمته الأخيرة ، وأن يضع خطة تنقذ العالم من السيطرة الإسرائيلية .. ولكن كيف ؟ ..

158

اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانتك  
مع رجل المستحيل ، في مهمته الأخيرة .



المؤسسة

العربية الحديثة

المنشور والمنشور والمنشور والمنشور والمنشور



التمن في مصر 400

وما يعادله بالدولار الأمريكي

في سائر الدول العربية والعالم